علي الشوك

المسيح

خارج الكتاب المقدس

مكتبة
الفكر الجديد
28-03-2020

منشورات الجمل

علي الشوك، المسيح خارج الكتاب المقدس

مكتبة
الفكر الجديد

علي الشوك

المسيح خارج الكتاب المقدس

منشورات الجمل

مكتبة
الفكر الجديد

علي الشوك: المسيح خارج الكتاب المقدس، الطبعة الأولى

كافة حقوق النشر والاقتباس والترجمة

محفوظة لمنشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠١٩

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١

ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

© *Al-Kamel Verlag* 2019

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

مكتبة الفكر الجديد

المحاولة الأولى

ستكون غابرييل مقتربي إلى كازانتزاكيس، لأنها تجيد اليونانية. وسيكون كازانتزاكيس مقتربي إلى مريم المجدلية، لأنه كتب الإغواء الأخير للمسيح. كنت أعرف غابرييل قبل مريم المجدلية. تعرفت إليها في عام ١٩٨٣. أما مريم المجدلية، فقد تعرفت إليها بعد ذلك بسنوات.

أين شاهدنا -أنا وإياها- الإغواء الأخير للمسيح؟ في اليونان، أم في بلجيكا؟ الذاكرة بدأت تخذلني. شاهدنا الفيلم الذي أخرجه سكورسيز عن كتاب (الإغواء الأخير) لكازانتزاكيس، ربما في بلجيكا. وغمرتني السعادة عندما شاهدت المسيح يمارس عمل الحب مع مريم. أعجبني جداً كازانتزاكيس. الآخرون يستطيعون أن يكتبوا ما لا يُكتب. أما نحن فلا نستطيع ذلك. لقد كتبوا عن المسيح ما لا يُكتب. وكان كل ما كُتب عنه جميلاً، حتى الجارح منه. وكان من بين أوقح وأجمل ما كُتب عن المسيح كتاب (الإغواء الأخير للمسيح) لنيكوس كازانتزاكيس. بأية وقاحة كتبه كازانتزاكيس، لكن بأي حب أيضاً. إنه يتحدث عن المسيح كأكثر الناس سذاجة وحماقة. ويتحدث عن حوارييه كأوغاد. نحن لا نجرؤ

مكتبة الفكر الجديد

أن نفعل ذلك. لكن الكتاب يشدك إليه كثيراً، ويجعلك تشعر أن الكاتب إله، يستطيع أن يكتب ما يشاء. دون أن يتوقع ملامة.

يومذاك قطعنا جزيرة كريت من أولها إلى آخرها. كنا نريد أن نختار أجمل مكان فيها. ووقع اختيارنا على (أيامارينا). وفي تلك الأيام فكرت في كتابة رواية، أول رواية لي، الأوبرا والكلب. ودخلت جزيرة كريت في هذه الرواية، مع فيينا، والرباط. لكنني كنت أريد ان أزور بيت كازانتزاكيس.

قالت لي غابرييل «لكنه في أواسط الجزيرة.»

«حاولي، لأجل مريم المجدلية.»

كانت سيارتها صغيرة وعتيقة. وكنا في عز الحر. لكن غابرييل لم ترفض لي طلباً.

لم تكن المغامرة مريحة. كنا نتصبب عرقاً، لأن السيارة كانت تخلو من مبردة. ولم يكن الطريق قصيراً.

عندما وصلنا البلدة، التي لم أعد أذكر اسمها، وجدنا مطعماً صغيراً على الشارع العام. ركنّا سيارتنا أمامه ودخلناه. لم يكن فيه أحد سوى صاحبه وابنته الصغيرة (في نحو السادسة من عمرها). كانت القائمة متواضعة، فنحن في مجاهل كريت، ولا أحد يقصد هذه البلدة في هذا الحر الخانق سوى «مخبولين» مثلنا. بادرنا صاحب المطعم بأنه يستطيع أن يقلي لنا لحماً، مع سلطة. كان ذلك شيئاً معقولاً. ثم بدأت روائح القلي تستفز معدتينا. وبدأت أسمع أنيناً من الصبية الصغيرة، وتضرعاً. أنا لا أفهم اليونانية. لكنني شعرت أن الرائحة بدأت تثير شهية الصبية. هل نطلب لها صحناً، سألت غابرييل. قالت لا تحاول

أن تفعل ذلك، لأن صاحب المطعم لا يرتاح إلى مثل هذه المبادرة.

ثم جيء بصحني الطعام، وبدأنا نأكل. إلا ان بكاء الصبية ارتفع، مع تضرعاتها التي لا أفهمها، وتفهمها غابرييل.

«اترك الطعام، ولندفع ونخرج فوراً» قالت غابرييل.

«لماذا أترك الطعام، أنا جائع.» قلت لها.

«أقول لك اترك الطعام.»

«يا إلهي، لماذا تطلبين مني ذلك؟»

«أقول لك اتركه، وسأوضح لك الأمر.»

ودفعت هي المبلغ (كانت هي مسؤولة الشؤون المالية)، ثم تركنا المطعم. وأنا لم آكل سوى لقمة أو لقمتين.

قالت لي «البنت كانت تبكي وتتوسل إلى أبيها أن يعطيها من هذا الطعام، وهو يزجرها.»

كنت في تلك الأيام معجباً بالكاتب اليوناني نيكوس كازانتزاكيس. وكان هذا من بين أسباب زيارتي جزيرة كريت، ورغبتي في مشاهدة المنزل الذي يقيم فيه. كنت معجباً بروايته عن (زوربا). لكن إعجابي كان فائقاً بروايته المذهلة (الإغواء الأخير للمسيح).

يا إلهي، ما أروعه في هذه الرواية. لقد أذهلني هذا الكاتب الجريء والظريف في كتابته «الوقحة» والجريئة جداً عن المسيح، وعن الحواريين. لكنني شعرت أن لي حساباً معه بشأن تعامله مع مريم المجدلية. وهو موضوع سأعود إليه فيما بعد. وقد حدّثتُ الصديقة غابرييل عن اهتمامي برواية (الإغواء الأخير

للمسيح)، وتحفظاتي على الكاتب في تعامله مع مريم المجدلية. فسرَّها، هي أيضاً، التعرف أكثر إلى كازانتزاكيس. لقد ذهلتْ حين رويتُ لها كيف كان كازانتزاكيس يتعامل مع أبطال روايته، المسيح، والرب، والحواريين، وكل شيء آخر، بما في ذلك الجمادات، التي كانت في روايته كائنات «حية». وأعربتُ لها عن أسفي لأن هذا الكاتب الكبير لم يُمنح جائزة نوبل، ولو من أجل (الإغواء الأخير) فقط. وهو خسر أمام ألبير كامو، الذي نال نقطة واحدة أكثر منه. لكن كامو صرح أنه يعتبر كازانتزاكيس أحق منه بالجائزة بمئة مرة. ولم ترتح الكنيسة الأرثوذكسية في اليونان إلى ما كتبه كازانتزاكيس عن المسيح. فرفضت دفنه في مقبرة. فدفن في الجدار المحيط بايراكليون.

والغريب أن كازانتزاكيس أمات مريم المجدلية في كتابه (الإغواء الأخير للمسيح)، والمسيح كان ما يزال على قيد الحياة. هذا في حين أن كل المصادر المسيحية، بما فيها الأناجيل، تؤكد أن مريم المجدلية هي التي أذاعت نبأ موت (صلب) المسيح، وهي التي نشرت خبر عودته إلى الحياة، أي بعثه، بعد ثلاثة أيام من موته. فكان لها السبق في إشاعة نبأ البعث. أي إن قصة بعث المسيح بعد موته كانت مجدلية في الأساس. لكن كازانتزاكيس لم يتطرق إلى ذلك في كتابه.

كتاب (الإغواء الأخير للمسيح) مكرس للحديث عن المسيح ومريم المجدلية. وعن هموم المسيح. وهنا تعامل كازانتزاكيس مع مريم المجدلية كجسد فقط، في حين تحتل المجدلية في تأريخ المسيحية موقعاً جوهرياً.

وسأشير إلى لقاء المسيح الأول بالمجدلية، كما جاء في هذا الكتاب: يذهب المسيح إليها في محل عملها. وينتظر إلى أن يخرج كل زبائنها. كان يريد أن يهديها، وهو متهيب من هذه المهمة. دخل عليها في غرفة عملها فوجدها مستلقية على ظهرها، عارية تماماً، غارقة في عرقها، وشعرها مبعثر على الوسادة، وذراعاها معقودتان خلف رأسها. وكان رأسها ملتفتاً نحو الجدار وكل أنملة من جسدها تفرز روائح كل الأمم، وذراعاها وعنقها وثدياها تلوح عليها أمائر العض.

وقف ابن مريم عاجزاً عن التقدم. وانتظرت المجدلية حركة من لدن القادم... انتابها الخوف من هذا الصمت. فأدارت وجهها بسرعة، لتراه وهو واقف أمامها. فأطلقت صرخة «أنت؟ أنت؟».

قال: «سامحيني، يا مريم!»

ثم قفزت واقفة على ركبتيها، وقد تدثرت بملاءة. ورفعت قبضة يدها قائلة «ألهذا دخلت إلى فناء بيتي، أيها الشاب الشهم؟ ألهذا اختلطت مع عشاقي، لكي تتسلل خلسة إلى بيتي وتُحضر الرب العابث إلى مرتعي؟ لقد تأخرت، يا صديقي...».

«لا تكفري يا مريم. أنا الملوم، وليس الرب. ولهذا أتيت: أريد أن تمنحيني غفرانك.»

ويدور بينهما حوار، ولا تطلب المجدلية منه شفقة، ولا عوناً، وتؤكد له أنها تريد أن تخلص نفسها.

«ممن تريدين تخليص نفسك، ممن؟»

«من الوحل، باركه الرب! فهناك تكمن آمالي كلها، في الوحل. إنه دربي إلى الخلاص.»

ثم تقول له «لا ترمني بنظراتك المشتهية الخجلى هكذا. ابق بعيداً، أيها الجبان! لا أريدك أن تبقى هنا. أنت تثير اشمئزازي، لا تلمسني! إنني من أجل أن أنسى رجلاً واحداً، لأخلص نفسي، سلمت جسدي لكل الرجال!»

لكن ابن مريم يقول لها « إنها غلطتي، سامحيني يا أختاه. إنها غلطتي، لكنني سوف أسدد ديني.»

«أنت لا تجرؤ على رفع رأسك كرجل وتعترف بالحقيقة. أنت تتوق إلى جسدي، وبدل أن تعترف بذلك، تضع اللوم على روحي، وتدّعي أنك تريد أن تخلصها. أي روح، أيها الحالم؟ إن روح المرأة هي لحمها. أنت تعرف ذلك، لكنك لا تملك الشجاعة على ضم هذه الروح بين ذراعيك كرجل وتقبّلها. قبّلها وخلّصها! إنني أشفق عليك وأمقتك!»

فهتف الشاب (يسوع) «إنك ممسوسة بسبعة شياطين أيتها العاهرة. سبعة شياطين...»

وهنا نلمس تأثيراً سومرياً بذكر الرقم (٧). ولسوف نعود إلى ذلك... لكن مريم المجدلية تقول له «ليس سبعة شياطين، يا ابن مريم، ليس سبعة شياطين، بل سبعة جروح واعلم أن المرأة ظبية جريحة، ومتعة تلك المسكينة الوحيدة هي أن تلعق جروحها.»

واقترب الشاب منها خطوة، وقال «مريم، حاولي أن تعودي بذاكرتك إلى عهد طفولتنا.»

هذا الكتاب يقدم معلومات مختلفة عن العلاقة بين المسيح ومريم المجدلية. فهي هنا ابنة عمه؛ وكانا يتلامسان جسدياً منذ أن كان هو ابن الثالثة، وهي ابنة الرابعة... لكن الوصال الحقيقي بينهما يتم عندما يكبران فيما بعد. وهي قصة مختلفة لا تستند إلى مرجع تأريخي، لأن مثل هذا المرجع غير موجود. لكن هناك إلماعات عن العلاقة بينهما يرد ذكرها في مصادر مهمَّشة، همَّشتها الكنيسة. وهي تبقى أيضاً موضع شك، أو تساؤل.

لكنني سأواصل محاولاتي في الوصول إلى حقيقة مريم المجدلية، وسأكتشف أشياء جديدة عن رموز المسيحية، كالمسيح، ويوحنا المعمدان، ومريم. من بين هذه الأمور التي توصلت إليها أن يوحنا المعمدان له وشائج عربية، وأنه لم يكن يهودياً، وأن المسيح بالذات لم يكن يهودياً أيضاً.

المحاولة الثانية

منذ أشهر وأنا أفكر في موضوع هذه المرأة الأسطورية. قد تكون أسطورية بالمعنى الحقيقي، أو بالمعنى المجازي للكلمة. وأنا بقيت متردداً بين هاتين الصورتين عنها. لكنني أزداد قناعة بأنها كانت امرأة حقيقة. وهذا ما دفعني إلى الكتابة عنها. وزاد رغبتي في الكتابة عنها أنها كانت ألصق الناس بالمسيح. ولا شك أن هذه الحقيقة ترفع من شأنها، وتدعونا إلى مضاعفة اهتمامنا بها. وقد نشأت لديّ رغبة في أن أكتب عنها كتاباً، رغم أن طاقتي الكتابية ضعفت الآن كثيراً بحكم تقدمي في السن. لكنني سأحاول التفرغ لها.

وقرأت الكثير، وقد كتب عنها الكثير، بالرغم من أنها كانت شخصية شبحية في تأريخ المسيحية، لكنها، مع ذلك، كانت أهم شخصية في السيرة المسيحية. وهذا يزيدنا فضولاً في تتبُّع أخبارها، لأنها امرأة، مع كل الأبعاد السلبية للمرأة في زمانها. فأنا دهشت للنظرة السلبية أو الدونية للمرأة في أيامها، إلى حد أن المسيح نفسه لم يتجرد من هذه النظرة، ولو في إطار ما، لدى التعامل معها.

إليكم هذه المعلومة عن النظرة الذكورية الصارخة عن المرأة

مكتبة الفكر الجديد

في أيام المسيح، وهي، ولا شك، امتداد للنظرة الذكورية اليهودية.

إن بعض التعاليم الأساسية للمسيح يمكن الوقوف عليها في الكتابات المعاصرة له التي استثنتها كتب العهد الجديد (أي الأناجيل الأربعة المعترف بها). وفي إنجيل توما (غير الرسمي) (وتوما هو شقيق المسيح التوأم)، يشرح المسيح عقيدته بأنه حتى النساء مساويات للرجال. جاء في هذا الإنجيل:

«سمعان بطرس قال لهم: «فلتتركنا مريم (يقصد المجدلية)، ذلك أن النساء لسن جديرات بالحياة.» فقال المسيح «أنا نفسي سأهديها لأجل أن تكون رجلاً. وذلك لكي تصبح هي الأخرى كائناً حياً يحاكيكم أنتم أيها الرجال. ذلك أن أي امرأة تجعل من نفسها ذكراً، ستدخل مملكة السماء».

أنا صدمتني هذه الأفكار الذكورية الصارخة، والنظرة الإلغائية التامة للمرأة، واعتبارها كائناً لا قيمة له بالنسبة للرجل. في هذا الجو كانت المرأة تعيش، وعلى هذا النحو عوملت مريم المجدلية وكل امرأة. ولقد اعترف حتى المسيح بأن المرأة لن تنال أي حق ما لم ترقَ إلى مستوى الرجل.

عندما اضمحل مجد الإلهات في الشرق الادنى، يوماً ما في العصر البرونزي، حوالي ألفي عام قبل ولادة المسيح، وفي فلسطين، في أثناء الألف الأخير، احتفظن معهن بكل معالم الأنوثة في البانثيون المقدس. لقد رحلت عشتار، وعناة (الكنعانية)، وكيبيلة اليونانية، مع الخصوبة، والجنسانية الأنثوية، ليحل محلها آلهة ذكور. وفي أرض كنعان، تلاشت

الإلهات اللواتي كن رمزاً للخصب، تلاشين كلياً، ليحل محلهن يهوة بعنفوان سلوكه الذكوري، مع أننا لا ننسى أن الإلهات كانت لهن صولاتهن الغاضبة أيضاً. آه، لكن يهوة كانت لديه زوجة في بادئ الأمر، في القرن الثامن والقرن الخامس قبل الميلاد، تدعى أشيرة. لكنه سرعان ما أصبح الخالق الأوحد. ففي سفر التكوين، أصبح الخالق ذكراً، بعد أن حل محل الإلهة الأم، التي كانت رمز الخصوبة. وكان يهوة الإله الذي ورثه المسيحيون، الأب الكلي القدرة، خالق الأرض والسماء وكل ما فيهما. وبذلك أحال دور الأنثى في الإنجاب إلى دور ثانوي زهاء ألفي عام. وعندما حاولت المسيحية أن تعيد الإلهة الأم في شخصية مريم العذراء لم تفعل شيئاً لأنها جاءت معها بنقيض الخصوبة. مريم العذراء كانت كائناً سلبياً وضعيفاً. كانت مستبعدة من الثالوث المقدس، وتابعة لابنها. وكان المسيح وحده يملك كل المؤهلات لخلق تغيير في المجتمع بفضل مزاياه التي تجمع بين الخصال البشرية وما فوق البشرية. لكن المسيح غاب مثلما فاجأ التأريخ بحضوره. وتعين على آخرين أن يواصلوا مسيرته. وكان القضاء عليه خسارة كبرى للبشرية. لولا أنه أرسى تعاليم أسّست لدين جديد وسياسة جديدة، لا يزال لها صدى في نفوس الكثير من أبناء البشرية. لكن المسيحية تراجعت عن بعض تعاليم المسيح الديمقراطية، لا سيما في موقفها من المرأة. نحن نتحدث عن المسيحية في أيامها الأولى.

منذ أيام كارهي النساء من الآباء الكنسيين الأوائل، عندما كان من المشكوك فيه أن للنساء أرواحاً، كان كل جهد قد بذل

مكتبة الفكر الجديد

لجعلهن يشعرن أنهن أدنى مرتبة في كافة المستويات. ليس فقط كان يقال لهن إنهن خاطئات في طبيعتهن، بل إنهن كن السبب الرئيسي أو ربما الأوحد لخطايا الرجال. وكانوا يدخلون في روع الرجال أن استجابتهم للشهوة إنما كانت استجابة لخديعة المرأة، التي أغوتهم لممارسة أفعال هي ليست من طبائعهم. إن التعبير الصارخ عن هذه الغواية المفروضة على الرجل في عُرف كنيسة القرون الوسطى أن المرأة التي كانت تغتصب كانت مسؤولة ليس فقط عن إثارة الرجل، بل كذلك عن فقدان المغتصب لروحه، التي يتعين عليها أن تصلح خطيئتها في يوم الدينونة.

المحاولة الثالثة

كنت أفكر في الكتابة عن امرأة نموذجية، بكل مؤهلاتها الجسدية والروحية. وأنا أعترف بأنني أعتبر جسد المرأة أجمل شيء في الوجود. وفي هذا الإطار أنا أتفق مع ريتشارد فاغنر في اعتبار المرأة أرقى من الرجل. لكن الرجل أقوى من المرأة، وأكثر حرية، وفي فرص الحياة. فكان هناك خلل في المعادلة، الجمال الهائل لدى المرأة لا يضاهي الرجل. . . لكنني مع ذلك كنت أبحث عن المرأة التي تضاهي الرجل، وربما تتفوق عليه، أو تكون صنواً له. ورحت أفكر في نساء مثل إيزيس المذهلة، وهلدغارد أوف بنغن، وهيليوز، والولادة بنت المستكفي. واستوقفتني إيزيس المذهلة. لكن إيزيس شخصية أسطورية. مع ذلك هي كانت من أهم، أو لعلها أهم الشخصيات الأسطورية. وسنرى أنها كانت إرهاصاً لشخصية مريم العذراء، وأهم منها، لأن مريم العذراء لا تتميز في شيء سوى أمومتها للمسيح. فمريم العذراء استلمت الكثير من ألقاب إيزيس، مثل «نجمة البحر» «Stella maris»، و«ملكة السماء». وتقليد ما كانت إيزيس تظهر واقفة على هلال، أو بنجوم في شعرها، أو حول رأسها وكذلك الحال مع مريم العذراء. لكن

مكتبة الفكر الجديد

أكثر الانطباعات المتماثلة بينهما هو انطباع الأم والطفل. ويظن المسيحيون أن تمثال مريم والمسيح في طفولته هو خصيصة مسيحية بامتياز، لكن فكرة المادونا والطفل كانت مرتبطة بعبادة إيزيس.

لكن إيزيس كانت تُعبد كعذراء وأم في وقت معاً، وليس كأم عذراء. فأتباع إيزيس كانوا يعتبرون فكرة الولادة من أم عذراء لا معنى له: الآلهة يمكن أن تجترح أعاجيب، لكن ليس على هذه الشاكلة. إن عبادة معظم الإلهات الرئيسيات كانت تعترف بأنوثتهن ومراحلها في حياتهن: أولاً، هناك العذراء، ثم الأم، ثم العجوز؛ وكل هذه المراحل الثلاث مرتبطة بالهلال، والبدر، والقمر المنطفئ. وكل إلهة، بمن فيهن إيزيس، كانت تعترف بمواصفاتها الأنثوية، بما في ذلك الجنس، على خلاف مريم العذراء.

حكاية مريم العذراء تضفي سمة أسطورية على قصة المسيح من خلال عذريتها. وإن كنت أنا أريد أن أتحدث عن مسيح لاأسطوري، مسيح واقعي. وهنا ستصبح مريم المجدلية أكثر واقعية في علاقتها مع المسيح. وأنا سأحاول أن أتقبل واقعية المسيح من خلال واقعية مريم المجدلية رغم لاواقعية روايتها عن البعث.

ويبدو أنه لا يمكن إهمال العنصر المصري في قصة المسيح والمسيحية. فهناك رأي يذهب إلى الزعم بأن المسيح كان من المؤمنين بأسرار أوزيريس، أشهر الآلهة المصريين في أيامه. وأوزيريس كان زوج أخته الإلهة الفاتنة إيزيس، التي كانت إلهة

الحب، والشفاء، والسحر، من بين أشياء كثيرة أخرى. (ومعروف أن الزواج بالأخت كان تقليداً فرعونياً). لكن أخاها Set كان يريد إيزيس له، فخطط لقتل أوزيريس. وفوجئ أوزيريس بزبانيته الذين قطعوا أوصال جسده وبعثروها. فحزنت إيزيس كثيراً، وجابت العالم بحثاً عن أوصاله، بالاستعانة بالإلهة نيفثيس، زوجة Set، التي استنكرت جريمته. وعثرت الإلهتان على أجزاء جسم أوزيريس كلها عدا عضوه التناسلي. وأعادت إيزيس تشكيلها، واستعملت عضواً اصطناعياً حيث تسنى لها بصورة سحرية أن تحمل بالطفل حورس. وفي بعض الروايات، قامت إيزيس بعمل الحب مع سيت، مع أن دوافعها كانت غير واضحة ولكن حورس، الذي أصبح شاباً، استاء من هذا الوصال، الذي اعتبره خيانة لأبيه أوزيريس. فتبارز مع سيت وقتله، وأصيب هو في إحدى عينيه. ثم شفي.

ويقال إن أوزيريس قُتل في يوم جمعة، وعاد إلى الحياة بعد ثلاثة أيام. وهكذا كان موت المسيح في جمعة، وبعثه بعد ثلاثة أيام.

المسيحية حوّلت العقيدة القمرية (التي يرمز لها بيوم السبت) إلى عقيدة شمسية، صار يرمز لها بيوم الأحد، يوم الشمس Sunday، لهذا اعتبر ميلاد المسيح في يوم ٢٥ ديسمبر (كانون الأول)، وهو الانقلاب الشتوي في التقويم السنوي. وهذا يمكن أن يعود بنا إلى الجذور المصرية للديانة المسيحية. ففي مصر كان يحتفل بميلاد حورس ابن إيزيس في يوم ٢٥ ديسمبر. وبعد ذلك باثني عشر يوماً، أي في اليوم السادس من يناير

مكتبة الفكر الجديد

(كانون الثاني) كان يحتفل بميلاد ابنها الثاني إيون (عيون؟). هذان التأريخان انتقلا إلى المسيحية. فالكنيسة الكاثوليكية تحتفل في السادس من كانون الثاني. وهذا دعا بعضهم إلى الاعتقاد بالجذور الأمومية لمعتقدات المسيحية. فقد كانت عبادة إيزيس معروفة في العالم الروماني في القرون الأخيرة السابقة للميلاد. وهذه العبادة كانت تركز على خلاص الإنسان وافتدائه، وعلى الإيمان بالآخرة الأبدية، المعتقد الذي يذهب إلى أن الخلود هو المصير الأخير للإنسان، وأن الخطايا يمكن ان يعترف بها وتغتفر من خلال الغطس في الماء. فالاعتراف هو شيء مشترك بين عبادة إيزيس والمسيحية الكاثوليكية.

ومن الجدير بالملاحظة أن عناصر الشبه بين المسيحية المبكرة وعبادة إيزيس وأوزيريس كان معترفاً بها من قبل الكنيسة المبكرة. وفي الواقع إن الديانتين كانتا مقبولتين لدى نفس الناس. وفي القرن الرابع (ق.م)، وفي أثناء حكم اليونان لمصر، ظهرت عبادة جديدة لإيزيس وسرابيس (الصيغة اليونانية لأوزيريس). وهذه العبادة وصلت روما قبل سنة ٢٠٠ (ق.م)، بعد أن عمت الإمبراطورية. لكن مركز العبادة الرئيسي بقي في مصر، في سرابيوم بالاسكندرية.

وتعلقت الطبقات الدنيا في روما بعبادة إيزيس. لكن مثل هذه الحركات الجماهيرية كانت تعامل بريبة من قبل السلطات، التي كانت ترى فيها بوادر انتفاضات كامنة. لذلك كان أتباع إيزيس في روما يعانون من اضطهادات مستمرة. وبالتالي، أصدر مجلس الشيوخ أمراً بتدمير معابد إيزيس وسرابيس في

مكتبة الفكر الجديد

روما. لكن أحداً من الموظفين والعمال لم ينفّذ هذا القرار. بيد أن هذه العبادة أُلغيت في عهد يوليوس قيصر.

ثم إن المسؤولين عادوا فأصدروا أمراً بإعادة بناء معابد إيزيس وسرابيس في ٤٣ (ق.م) ولعل هذا كان نتيجة العلاقة التي نشأت بين مارك أنطوني وكليوباترا، التي كانت تعتبر نفسها إيزيس، ومحبها كأوزيريس أو دايونيزوس. لكن أقسى ضربة تعرّض لها أتباع إيزيس في روما كانت على يد الإمبراطور تبريوس في ١٩ ميلادية، حيث تم صلب الكهنة ونفي ٤٠٠٠ من الأتباع.

وفي القرن الأول ابتسم الحظ لأتباع هذه العبادة، وأصبحت عبادة إيزيس موضع اهتمام الطبقات العليا، وحتى بين الأباطرة. فكاليغولا تبنّى اعادة بناء المعابد، وإحياء الاحتفالات بإيزيس. كما تعلّق كلوديوس ونيرون بأسرار العبادة.

واستمرت عبادة إيزيس بصورة مكشوفة حتى نهاية القرن الرابع الميلادي، بيد أن المسيحية أصبحت منافسها الأكبر. ففي ٣٩١ م دمر المسيحيون السيرابيوم في الاسكندرية، واتخذوا إجراءات لقمع العبادة حيثما وجدت. وكان آخر احتفال إيزيسي في تلك الأيام تم في روما في ٣٩٤م. والحق أن انتصار المسيحية على «الوثنية» والديانات الأخرى كان مضرجاً بالدم. وأنا سأشير هنا إلى مأساة العالمة الرياضية الاسكندرانية (من أصل إغريقي) هيپاتيا Hypatia التي تعرّضت لاعتداء وحشي على حياتها في أيام فرض الديانة المسيحية على «الوثنيين» المسالمين الذين كانوا امتداداً للوجود الحضاري الإغريقي في مصر.

ولدت هيپاتيا في الاسكندرية في ٣٥٥ ميلادية، وكان مقتلها الفاجع في ٤١٥م، وهي ابنة الرياضي والفيلسوف ثيون الاسكندراني. في البدء واصلت أبحاث أبيها الرياضية. وقدمت مناقشة رياضية للأشكال المخروطية للرياضي أبولونيوس؛ ونظرية الأعداد لذيوفانتوس الاسكندراني؛ وأعدّت جداول فلكية وكانت في أيامها أبرز عالمة رياضية وفلكية في العالم. كما كانت مبرزة في الفلسفة. وكانت تؤمن بالأفلاطونية الجديدة. وهذا عزز تهمتها بالوثنية في أيام الصراع الحاد بين المسيحيين (الأرثوذكس) والهراطقة.

في أيامها تم تدمير السرابيوم، معهد الإله سرابيس (أوزيرس)، على يد ثيوفيلوس، أسقف الاسكندرية. لكن ثيوفيلوس كان صديقاً لسينيسيوس، تلميذ هيپاتيا النجيب. وبموت سينيسيوس وثيوفيلوس، وتولي كيريل مركز الأسقفية في الاسكندرية، تراجعت سياسة التسامح. وبعد ذلك بقليل أصبحت هيپاتيا عرضة لأبشع جريمة اقترفها الرعاع المسيحيون المتعصبون الذين مزقوا جسدها في شوارع الاسكندرية.

لا شك أن مؤسس الديانة المسيحية لا يمكن أن يرضى بأن تقترف مثل هذه الأعمال الوحشية باسم ديانته. فالمسيح كان داعية سلام وتسامح. ولسوف نقف على فلسفته ومبادئه، التي أسست أكبر دين «سماوي» في التأريخ، ونرى أن هذا الدين كان في حقيقته امتداداً لمعتقدات دينية أخرى، لاسيما المصرية، وعلى وجه الخصوص عبادة إيزيس وأوزيريس، بل إن تعاليم المسيحية مستمدة بالكامل تقريباً من عبادة إيزيس، كما سنرى.

مكتبة الفكر الجديد

إن سر شعبية عبادة إيزيس يكمن في أنها كانت حريصة على الخلاص الشخصي للإنسان، وافتدائه، وأنها منحت الأتباع التمتع بخلود أبدي بعد الحياة. قال شارون كيلي هيوب في (عبادة إيزيس بين النساء في العالم اليوناني- الروماني) في ١٩٧٥:

«لقد أصبحت إيزيس إلهة منقذة بكل معنى الكلمة. إن افتداء الإنسان ممكن تحقيقه من خلال المساهمة في أسرارها. وقد كان الاعتقاد بنيل الخلود من أهم مبادئها.»

أما ميركلباخ فقد قال عن عبادة إيزيس:

«إنها كانت شعبية لأنها تستجيب للرغبة في الخلاص الشخصي (مثل المسيحية)، وأصبحت الأفكار الفلسفية الأفلاطونية مقترنة بها (كما هي الحال في المسيحية) وكانت الخطايا يُعترف بها وتغتفر من خلال الغطس في الماء.»

وكالمسيحية، كان الخلاص الشخصي للمتعبد مرتبطاً بتوبة المرء (والمرأة). وفي أواخر العهد الروماني، كانت هاتان الديانتان فقط تؤكدان على التوبة.

وهناك تشابه آخر لافت للنظر -وفريد من نوعه- بين ممارسات عبادة إيزيس، والمسيحية الكاثوليكية، نعني به فكرة الاعتراف. إن المتعبد حين يعترف بخطاياه أمام الكاهن، يتوقع أن الكاهن سيتضرع إلى إيزيس بالنيابة عنه لتغفر له.

مكتبة الفكر الجديد

مكتبة
الفكر الجديد

المحاولة الرابعة

أحببت المرأة لأنها كائن جمالي. وانا أتفق مع فاغنر في إطار جزئي في قوله إن المرأة أرقى من الرجل. وأنا أعجبت بغريتا غاربو لأنها انقطعت عن الحياة في سن مبكرة، لكي تبقى شابة مدى العمر. وأشعر بالبهجة كلما تطلعت إلى صورة مارلين مونرو، لأن جمالها له سحر طاغ واستفزازي، بنزقها، المحبب إلى النفس. وأغرمت بشخصية روائية فرضت عليّ سحرها بجمالها الخارق وسلوكها الرومانسي المذهل. إنها ماتيلد دي لامول، بطلة رواية (الأحمر والأسود) لستندال، التي تبقى عندي رمزاً للمرأة المستحيلة. وسأشير أيضاً إلى امرأة عربية قديمة مجهولة كانت من أجرأ بنات جنسها العربيات في قولها:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أو هل سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج

وأعرب عن إعجابي الشديد بالشاعرة الأميرة الأندلسية الولّادة بنت المستكفي، التي قالت:

مكتبة الفكر الجديد

أنا من تبتغي طلب المعالي
وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكن صاحبي من صحن خدي
وأعطي قبلتي من يشتهيها

وقد قيل عنها إنها كانت ذات فتنة صارخة، أنوثة طاغية، وموهبة شعرية نادرة. وكانت تظهر في صالونها الأدبي من دون حجاب. وقالت في مغامراتها الليلية مع الشاعر ابن زيدون:

ترقّب إذا جن الظلام زيارتي
فإني رأيت الليل أكتم للسر

لكن الولّادة لم تكن متهالكة على ابن زيدون، بل العكس كان صحيحاً. وقد عذبته في صدودها. ونحن لا يمكن أن نصدقها في إباحة شفتيها لكل من يشتهي تقبيلهما. لكننا نعتقد أن الولّادة كانت من أغرب النساء. ولعلّي أميل إلى الاعتقاد بأنها كانت امرأة مثلية. لكنها لم تكن متمنعة على الرجال، ربما في حدود أن تُعشق فقط.

لكن الولّادة لم تكن موضع اهتمامي مثل إمرأة أخرى فضّلتها على كل النساء. هذه المرأة هي مريم المجدلية. أنا هنا لن أتحدث عن هذه المرأة من منطلق حسي بالرغم من أن المجدلية لم تمتنع عن تعاطي الجنس، فقد كانت قبل أن نتعرف على أخبارها بغياً. وهذا هو سر اهتمامي بها. هذه المرأة البغي كانت أقرب الناس إلى المسيح، وأَحبّهم إليه. فنحن هنا سنجدنا أمام مفارقة غريبة جداً. أَحَبُّ امرأة إلى المسيح كانت

بغياً. لكن المجدلية كانت امرأة متفوقة في أفكارها، «المرأة التي تعرف كل شيء»، كما قال عنها المسيح. هل كان هناك حب بينها وبين المسيح؟ أنا سأرجع إلى مرويات رسمية وغير رسمية في قراءاتي عن مريم المجدلية. نحن لا نعرف من هي بالضبط، سوى أن الروايات الإنجيلية المعترف بها، وغير المعترف بها، تؤكد أنها كانت من بين حواريي المسيح. ليس ذلك فحسب، بل هي كانت خير الحواريين كلهم. فقد أكدت الكنيسة منذ أيامها الأولى أن مريم المجدلية هي «حوارية الحواريين»، وهي «الأولى بين الحواريين». وهذا اللقب أنعم به المسيح عليها. وينبغي أن لا ننسى أن حواريي المسيح الذكور كانوا كلهم غائبين عن مشهد الصلب، ومشهد الصعود إلى السماء، ربما بسبب جبنهم، في حين كانت مريم المجدلية حاضرة في المشهدين. وهذا ربما لأن هناك حباً بينها وبينه. جاء في أحد الأناجيل الأخرى غير المعترف بها من قبل الكنيسة، إنجيل فيليب «لكن المسيح أحبها أكثر من جميع الحواريين وكان يقبّلها من فمها. وكان هذا يثير حنق بقية الحواريين فيعربون عن اعتراضهم، ويقولون له: «لماذا تحبها أكثر منا جميعاً؟» فيقول لهم المخلّص «لماذا لا أحبكم كما أحبها؟». وجاء في نفس الإنجيل «كانت هناك ثلاث يمشين مع المسيح: مريم أمه، وأخته، والمجدلية، التي تدعى رفيقته.» وأنا قرأت أن كلمة «رفيقة» (companion) كانت تعني في اليونانية «زوجة»، أو «شريكة في الجنس».

قد لا تعترف الكنيسة بهذه الأخبار «الهرطقية»، لكنني

كباحث، أحاول أن أصل إلى كل الأخبار التي لها علاقة ببحثي. ومن بينها المصادر «الأخرى» كما قلت.

فهل كان هناك حب بين مريم المجدلية والمسيح؟ بهذا الصدد قرأت أن الكاتب الروائي البريطاني دي. أتش. لورنس نشر آخر رواية (قصيرة) له في ١٩٣١ تحت عنوان (الرجل الذي مات)، جاء فيها أن المسيح ينجو من الصلب ويجد افتداءه الحقيقي من خلال عمل الجنس مع مريم المجدلية، التي تعتبر أشبه بكاهنة لإيزيس. ويقرن دي. أتش. لورنس المسيح بأوزيريس الإله الذي يموت ويُبعث، وزوج تلك الإلهة (إيزيس). لكننا لا نستطيع أن نثق تماماً بمصداقية عمل لورنس الروائي، أكثر من التشبيه بين المسيح وإيزيس في موتها وبعثها.

وقرأت أيضاً أن الحب بين مريم المجدلية والمسيح ورد ذكره في أناجيل نجع حمادي، التي كانت مخفية في مصر منذ القرن الرابع الميلادي. لكنني أريد أن أنتقل إلى امرأة أخرى من نساء المسيح. في الأناجيل أن المرأة التي مسحت المسيح لم تُسَمّ، مع أنها (أي الأناجيل) تشير إلى أنها خاطئة. لكنها ذُكرت في إنجيل يوحنا تحت اسم ماري من بيت عنيا، من دون الإشارة إلى مواصفاتها الاجتماعية. قيل إن هذه المرأة مسحت المسيح بدهن الناردين الذي كان يعتبر باهظ الثمن. ولا ننسى أن الشخص الوحيد الذي مسح المسيح كان امرأة، ووصفت بأنها كانت بغياً. لكن ربما اختزلت هاتان المرأتان اللتان اقترنتا بالعناية بالمسيح عند صلبه إلى امرأة واحدة، هي مريم المجدلية. وفي كل الأحوال كانت المجدلية، على ما يبدو،

مكتبة الفكر الجديد

امرأة مهمة في سيرة حياة المسيح. ولا بأس في الرجوع إلى لوحة (العشاء الأخير) لليوناردو دافنشي، لنكون على بيّنة من موقع المجدلية عند المسيح وبين حوارييه.

مكتبة الفكر الجديد

المحاولة الخامسة

نحن لا نعرف سوى القليل عن هذه المرأة، بالرغم من أنها كانت أهم شخص في حياة المسيح. فالأناجيل المعترف بها همّشتها لأنها امرأة. لكنها اعترفت بدورها في أهم حدثين يتعلقان بالمسيح، أنها شهدت وفاته عند الصلب في الوقت الذي تخلى عنه أصحابه من الرجال؛ وكانت هي الشاهد الوحيد لبعثه بعد دفنه، أي صعوده إلى السماء. فمريم المجدلية تعتبر أهم شخصية في تأريخ المسيحية. وتصفها سوزان هاسكنز بأنها كانت تجسيداً للمعادلة المتعارف عليها عن جمال الأنثى، والجنس، والخطيئة. فالمتعارف عليه أنها كانت البغي التي أصغت إلى كلمات المسيح. وتابت عن ماضيها الجانح. ثم كرست حياتها وحبها له. وتظهر فيما لا حصر له من الأعمال الفنية، مرتدية الدثار القرمزي، وبشعر أشقر مكشوف، منحنية تحت الصليب، أو جاثية عند قدمي المسيح في بيت مريم ومارثا من بيت عنيا؛ أو كبغي جميلة، متكومة عند قدميه، وإلى جوارها جرة من مرهم في منزل الفريسيين وأن اسمها بحد ذاته يستنهض إحساساً بالجمال والشهوانية. لكن الأناجيل لا تسعفنا في معلوماتها عنها إلا بالشحيح جداً. أما المصادر الأخرى،

مكتبة الفكر الجديد

الأناجيل الهرطقية، أو غير المعترف بها، فتقدم لنا معلومات إضافية عنها.

هناك اعتقاد بأن لمريم المجدلية دوراً مهماً في قيام المسيحية يأتي في المرتبة الثانية بعد المسيح. وربما بدرجة موازية له، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن مريم المجدلية هي ناشرة الفكرة القائلة ببعث المسيح من موته وصعوده إلى السماء. لكن إضفاء هذا الدور على المجدلية يجد من يخالفه بين غير المؤمنين من النقاد. فالمجدلية في عرفهم لم تكن أكثر من امرأة زالّة استطاعت أن تكتسب عطف المسيحيين من خلال دموعها على المسيح أو ربما على وضعها كزالّة تنشد التوبة.

إن أهمية مريم المجدلية تتوقف على طبيعة علاقتها بالمسيح. ونحن سنحاول متابعة هذا الموضوع. وبالطبع ، نحن نقصد علاقتها به قبل موته.

بدأت أكتب هذا الموضوع منذ أسابيع، ولم أتقدم فيه كثيراً، لأسباب صحية. وأنا أريد أن أتحدث فيه عن شخصية مريم المجدلية، وعلاقتها بالمسيح. لكنني وجدتني مستدرجاً إلى الكتابة عن شخصية المسيح. وهو موضوع كبير، لكنني سأحاول الاكتفاء ببعض الجوانب المتعلقة بحياة المسيح. ومع ذلك سنلاحظ أن هناك عناصر كثيرة تداخلت في قصة المسيح: عناصر سومرية؛ ومصرية؛ ويهودية؛ وعربية ربما عن طريق يوحنا المعمدان، كما سنرى؛ وعناصر يونانية (عبر الحواريين)؛ ورومانية (عبر بيلاطس)؛ وعناصر أسطورية؛ وغامضة. وهناك

مكتبة الفكر الجديد

عنصر المرأة الذي يتجسد في إيزيس؛ ومريم العذراء؛ ومريم المجدلية. فهل سيتسنى لي أن أتحدث عن ذلك كله؟

لكنني سأتحدث بغير ضوابط كتابية، أي سأكتب بصورة حرة وتلقائية غير متمسك بأية قواعد. وسيحصل تكرار، وأنا أعتذر عنه.

في ملحمة جلجامش، قيل للملوك القربانيين (المتقرب إليهم): « إن البغي التي مسحتك بالزيت العطر تبكي عليك الآن»، هذا في حين أن عبارة مماثلة استعملت في أسرار الملك المائت تموز، الذي كانت عبادته سائدة في أورشليم في أيام المسيح. ومما تجدر الإشارة إليه أن «الشياطين السبعة» الذين يزعم أن المسيح طردهم من رأس مريم المجدلية يمكن اعتبارهم الأرواح السبعة السومرية-الأكدية التي حكمت العوالم السبعة المقدسة والتي ولدت من الإلهة ماري.

ها نحن نرى أن اسم المسيح مشتق من «المسح»، مسح جسمه بالزيت أو العطر، بعد الوفاة. وكانت مريم المجدلية هي التي مسحته بعد موته، وأعلنت عن وفاته ثم بعثه، أي صعوده إلى السماء، بعد ثلاثة أيام من دفنه.

وأنا منذ الآن سأقدم قراءات من مصادر حول الموضوع.

من تقاليد الزواج المقدس، كانت العروس ملك المضحى به -كبيرة الكاهنات- هي التي تعين لحظة موته، وتحضر ساعة دفنه، وبسحرها تعيد إليه الحياة من العالم السفلي. لكن هذا «البعث» كان في معظم الحالات رمزياً، ينظر إليه كحياة جديدة

مكتبة الفكر الجديد

كالربيع، أو كما في حالة أوزيرس، في الفيضان السنوي لنهر النيل، الذي يجدد خصوبة الأرض.

لذا في وسعنا أن نرى مهمة المسح التي قامت بها مريم المجدلية كإعلان عن حينونة التضحية بالمسيح قد أزفت بفضل سلطانها ككاهنة. لكن هذا تفسير لا يأتي على مرام الكنيسة التي حددت لها دوراً محدوداً. فالكنيسة لم ترد لأتباعها أن يعلموا عن العلاقة الحقيقية بين المسيح ومريم (المجدلية)، ولهذا استُثنيت الأناجيل الغنوصية Gnostic Gospels من المصادر المعتمدة، ولم يُعترف إلا بأناجيل متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا، مع أن من اتخذ هذا القرار لم يكن يحمل تفويضاً إلهياً.

ونحن سنحاول الوقوف على مقولات الأناجيل الغنوصية (غير المعترف بها). أحد هذه الأناجيل يعدد طقوساً خمسة للمؤهلين هي: التعميد، والمسح، والقربان المقدس، والافتداء، وأعلى هذه المراتب، «حجرة الزفاف»:

المسح هو أعلى من التعميد... وهكذا كان يدعى المسيح بسبب مسحه... إن من يُمسح يمتلك الكل. إنه يمتلك البعث، والنور، والصليب، والروح القدس. الأب أعطاه ذلك في حجرة الزفاف.

إذا كان طقس المسح أعلى من التعميد، فإن هذا يعني أن سلطة مريم (المجدلية) كانت في الواقع أعلى من سلطة المعمدان (يوحنا). وان أعلى مرتبة هي «غرفة الزفاف»، التي لم توضح طبيعتها، وبقيت لغزاً على المؤرخين. لكن في الوسع

مكتبة الفكر الجديد

التصور أن المقصود بذلك هو العلاقة الحقيقية بين المسيح ومريم (المجدلية). ثم إن المجدلية كانت تُعرف أيضاً في الأناجيل الغنوصية بالمرأة التي تعرف الكل، من قراءة هذه الأناجيل نعلم أن «من يتم مسحه يمتلك الكل».

إن العلاقة الحميمة بين المسيح ومريم المجدلية تنطوي على أبعاد مهمة. إن المقارنة بين العلاقة بينهما وبين المسيح وحوارييه لا تترك مجالاً للشك في عمق العلاقة بين المسيح والمجدلية. فالحواريون الذكور كانوا يصورون على أنهم باهتون. فلطالما كانوا يؤكدون على أنهم «لم يعرفوا ماذا كان يعني». صحيح أن أعمال الرسل تحدثت عن النار السماوية لعيد الخمسين الذي أنعم ببعض الحكمة والقوة على الحواريين، بيد أن الأناجيل الغنوصية تتحدث عن حواري واحد (حوارية واحدة) لم تكن في حاجة إلى هذا التدخل السماوي. هذه الحوارية هي مريم المجدلية التي أعادت الثقة إلى الحواريين الذكور بعد الصلب وبفضل كلماتها الحماسية استطاعت أن تجعلهم يؤمنون بالقضية بعد أن كانوا مستعدين للتخلي عن هذه المهمة. فيفترض أنها شاهدت المسيح في بعثه بأم عينها.

فهل يمكن القول إن الاثني عشر حوارياً لم يكونوا، في واقع الحال، الحلقة المقربة إلى المسيح.. فجهلهم يثير التساؤل. «فهم لم يكونوا يعلمون ما يؤكده الإنجيل من أنه يجب أن ينهض ثانية من الموت».

ذلك أن مريم المجدلية وصاحباتها هن اللواتي ذهبن إلى القبر. لقد كانت مريم المجدلية رفيقة المسيح، والحوارية

الأولى، ولعل دورها كان كدور الكاهنة في المعتقدات الوثنية. فهل كانت قصة المجدلية والمسيح استعادة للطقس الوثني بين الكاهنة و«الملك» المضحى به؟ وهل كان المسيح شريكاً في الزواج المقدس وبالتالي شريكاً في طقس جنسي وثني. وهل كانت مريم المجدلية حقاً إلهة من إلهات العبادة في الطقوس الوثنية، وعلى الأقل متماهية مع المسيح على الصعيد الروحي. وهل لم يكن بطرس وبقية الحواريين جزءاً من الحلقة المقربة للحركة... ومن كان المسيح؟

لكنني سأعود إلى القصة المتعارف عليها عن حياة المسيح. عدا عن مريم العذراء، كانت مريم المجدلية أول امرأة ذكرت في الأناجيل الأربعة. فقد ظهرت أول مرة في أثناء وجود المسيح في الجليل كواحدة من مجموعة النساء اللواتي تبعنه. وهي التي كانت لديها «سبعة شياطين» التي طردت منها. ثم إن دورها اكتسب أهمية خاصة عندما كانت حاضرة في أثناء الصلب، والأكثر أهمية من ذلك عندما كانت الشاهد الأول على بعث المسيح، ومع أن روايات الأناجيل الأربعة تختلف كثيراً حول اكتشاف القبر الفارغ، إلا أنها تتفق جميعاً على هوية الشاهد الأول لصعود المسيح. وكان هذا الشاهد مريم المجدلية بلا منازع. وهي حقيقة تم تمويهها على نطاق واسع من الذين يفضلون الاعتراف بالرجال فقط الذين تبعوا المسيح.

يتضح أن مريم المجدلية لقيت إهمالاً كبيراً جداً من قبل الكنيسة. هذا مع أنها في الواقع كانت أول حواري استلم اعترافاً بهذه الحقيقة من قبل المسيح. ولهذا اعترفت الكنيسة في

أيامها الأولى بدورها الحقيقي في نشوء المسيحية، وأنعمت عليها بلقب «رسولة الرسل»، وكذلك «الرسول الأول».

لكن بولص وزبانيته حاولوا كل ما في وسعهم تهميش دور المرأة في الدراما المسيحية وهي في بواكيرها.

في الواقع إن الانطباع المعروف في الأناجيل وحدها هي أن حواريي المسيح كانوا كلهم رجالاً. باستثناء إشارة واحدة في إنجيل لوقا تعترف بأن النساء كن يسافرن مع المسيح. لكن هذا يمكن أن يسبب إرباكاً عندما ترى فيما بعد أن النساء ينبعن فجأة من لا مكان ليلعبن دوراً مركزياً حول الصليب. وهذا كان مدعاة للتساؤل بحق. وذلك لأن كل أتباعه الذكور كانوا قد تخلوا عنه؟ وهل يعني هذا أن النساء اللواتي تخلفن مع الصليب كن الأصدقاء الأحقاء له؟

لكن مريم المجدلية كانت شخصية مهمة جداً وملغزة في تأريخ المسيحية. ومما يدعو للتساؤل بشأنها أنها أهملت بعد الإشارة المبكرة إلى دورها الكبير في الدراما المسيحية. فهي لم تذكر في أعمال الرسل، ولا في كتابات بولص (حتى في حديثه عن القبر الخالي)، ولا في رسائل بطرس. وهذا يبدو أمراً يدعو إلى الاستغراب وقد أثار الكثير من التساؤلات لكن من دون إجابات إلا في الكتابات التي تدعى بالأناجيل الغنوصية، حيث تتضح الصورة إلى حد كبير. هذه الوثائق التي نيفت على الخمسين تم اكتشافها في ١٩٤٥ في نجع حمادي في مصر، وهي مجموعة من النصوص المسيحية الغنوصية المبكرة، وكان بعضها معترفاً به ضمن النصوص الرسمية. وقد أدينت هذه

الكتابات كأشياء «هرطقية» من قبل الكنيسة المبكرة، ومن ثم عزلت ودمرت، كأنها تحتوي على سر عظيم كان يعتبر حظراً على المؤسسة الناشئة.

إن معظم تلك النصوص المحرمة له صلة بمريم المجدلية، بل إن أحدها يدعى «إنجيل مريم». وليس المقصود هنا مريم العذراء، بل مريم المجدلية.

ولعله ليس من باب الصدفة أن تلجأ الأناجيل الأربعة من العهد الجديد إلى تهميشها. فهل يمكن أن يعني هذا أن كتاب العهد الجديد هو عبارة عن دعاية ضد حزب المجدلية؛ إن قصة مريم المجدلية والحال هذه تنطوي على أبعاد خطيرة في تأريخ المسيحية وان قصة العهد الجديد، كما رأينا، تشير بغير ارتياح إلى دورها المهم في حركة المسيح، بيد أن الأناجيل الغنوصية تعترف جهاراً بدورها المتميز. وهي لذلك اعتُبرت الشخص الثاني بعد المسيح، متفوقة على كل الأتباع الآخرين، ذكوراً وإناثاً. وفي هذه النصوص لم يكن بطرس هو الشخص الثاني المنتخب، بل مريم المجدلية.

وجاء في إنجيل مريم الذي ينسب إليها أنها هي التي أثارت الحمية في نفوس الحواريين الجزعين بعد الصلب وألهبت مشاعرهم عندما كانوا على استعداد للتراجع والعودة إلى منازلهم بعد خسران قائدهم الذي يتمتع بكاريزما. ولم يكن ذلك أمراً سهلاً، في مجتمع لا يحترم المرأة. فقد كان عليها أن تقاوم عداء بطرس السافر ضدها، بطرس صياد السمك الأسطوري، والشهيد ومؤسس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. فكما يرد في

مكتبة الفكر الجديد

الأناجيل الغنوصية كان يمقتها ويخشاها، مع أنه لم يذهب عندما كان سيده على قيد الحياة إلى أكثر من الاعتراض على نفوذها. فالعديد من النصوص تتحدث عن السجالات الحادة بين بطرس ومريم، حيث كان الأول يتساءل لماذا كان المسيح يؤثر صحبة تلك المرأة. وتقول مريم المجدلية في إنجيل غنوصي آخر، Pistis Sophia: «بطرس يجعلني مترددة، أنا أخاف منه، لأنه يمقت الجنس النسائي.» وفي إنجيل توما الغنوصي يقول بطرس: «لتتركنا مريم، لأن النساء لسن جديرات بالحياة».

هناك شيء آخر بصدد الكتابات الغنوصية لأنها تجعل هذه الكتابات كأشياء متفجرة بقدر تعلق الأمر بالكنيسة. فالصورة التي ترسمها عن العلاقة بين مريم والمسيح لم تكن مجرد علاقة بين أستاذ وتلميذة، أو حتى بين شخص لامع ومعجبة. فقد كانا يصوران في علاقة حميمة بينهما. لنأخذ على سبيل المثال إنجيل فيليب الغنوصي:

«لكن المسيح كان يحبها أكثر من جميع الحواريين وكان يقبّلها في أغلب الأحيان من فمها. وكان بقية الحواريين يشعرون بالاستياء من ذلك ويعبّرون عن عدم رضاهم. وكانوا يقولون له: «لماذا تحبها أكثر منا جميعاً؟» فيجيبهم المخلّص: «لماذا لا أحبكم كما أحبها؟»

إن مجرد الفكرة التي تذهب إلى أن المسيح يُناقَش ككائن جنسي هي شيء إستفزازي لمعظم المسيحيين. ولقد أثار فيلم مارتن سكورسيزي (الإغواء الأخير للمسيح) حفيظة الكثير من المشاهدين المسيحيين عندما صور المسيح ومريم المجدلية

يمارسان الجنس. وهذا، طبعاً، أثار غضب هؤلاء المشاهدين لأن المرأة هي مريم المجدلية، المومس المعروفة.

لكن هناك دليلاً إلى جانبها وضدها حول مهنتها السابقة. بيد أن الكنيسة ارتأت أن تصورها كمومس، حتى لو كانت تائبة. وهذا في أفضل الأحوال يقدم لنا رسالتين مهمتين: أن المجدلية على نحو خاص وجميع النساء بعامة كن غير نظيفات وعلى الصعيد الروحي دون مستوى الرجال، وأن التوبة وجدت فقط في الكنيسة.

إنه لمن غير المقبول به أن المسيح وهذه المومس السابقة المفترضة كانا حبيبين، ومن ثم بالنسبة إلى معظم المسيحيين إنه لمن المرفوض أن يُفترض أنهما كانا زوجاً وزوجة.

فما هي العلاقة الحقيقية بين المجدلية والمسيح؟ لنقرأ الأناجيل المعترف بها وغير المعترف بها.

مكتبة الفكر الجديد

المحاولة السادسة

كانت الإشارة الأولى لمريم المجدلية بالاسم في إنجيل مرقص، عند النهاية من حديثه عن صلب المسيح في الجلجلة خارج أورشليم مباشرة. لقد كتب إنجيل مرقص ربما في حدود ٦٦-٦٨ بعد الميلاد. ويعتقد أنه مصدر إنجيل لوقا وإنجيل متى. مرقص يصف المشهد: كان المسيح مصلوباً بين السارقين، ومهجوراً من قبل حوارييه، ووحيداً باستثناء «النساء اللواتي كن يتطلعن من بُعد». وكان قد لفظ أنفاسه على الصليب في ذلك المكان المقفر. وبين النساء اللواتي بقين بعد هرب الرجال، كانت «مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب، وسالومي».

ثم أنزل جسد المسيح من الصليب، وطلب الجثة يوسف من أريماثايا، «وهو رجل محترم كان مستشاراً في السنهدريم، وكان سابقاً قد رفض إدانة المسيح، طلب الجثة من بونتيوس بيلاطس، الحاكم الروماني لليهودية، ولفها بقماش جيد، ووضعها في ضريح ثم أغلقه بحجر. وفي ختام الفصل يخبرنا مرقص أن مريم المجدلية وامرأة أخرى «شاهدتا أين وُضع».

وبعد ذلك مباشرة، يصف كاتب الإنجيل الأحداث المتعلقة بالطقوس المسيحية، التي كان لمريم المجدلية دور مهم فيها،

مكتبة الفكر الجديد

وهو الدور الذي غالباً ما يهمل بسبب سمعة المجدلية. وفي الصباح التالي، حملت المجدلية ومريم أم يعقوب، وسالومي عطوراً ليمسحن جسم المسيح استعداداً للدفن. ولدى وصولهن القبر، وجدت النسوة أن الحجر الذي وُضع في مدخل القبر قد أزيح، وأن شاباً يرتدي بدلة بيضاء طويلة كان جالساً هناك، فتملكهن الذعر، بيد أنه أخبرهن بأن لا يقلقن لأن المسيح بُعث حياً، وأن عليهن أن ينقلن الرسالة إلى الحواريين وبطرس، وأنهم سيرون المسيح في الجليل. واستناداً إلى مرقص، هربت النسوة «في الحال»، وهن يرتجفن من الخوف.

مكتبة الفكر الجديد

نصوص كانت مطمورة

«ثلاث كن دائماً يمشين مع المسيح :
مريم أمه، وأختها، والمجدلية، تلك
التي كانت تدعى رفيقته»

إنجيل فيليب

في ديسمبر ١٩٤٥ كان بعض الفلاحين العرب يعزقون التربة في الصحراء قرب بلدة نجع حمادي في مصر العليا، وعثروا على جرة قديمة مخبأة تحت صخرة. وبعد تردد قرر أحد هؤلاء الفلاحين، واسمه محمد علي السمال، كسر هذه الجرة والكشف عن محتوياتها. في داخلها كان عدد من كتب البردي، بعضها أحرقته أم محمد علي، وضاع البعض الآخر، ووجد البعض الآخر طريقه إلى السوق السوداء عن طريق متاجرين في الآثار في القاهرة؛ ثم، وصل أحدها إلى السوق الأميركية ليباع إلى مؤسسة Jung في زوريخ. لقد عثر محمد علي على مكتبة قبطية غنوصية، كانت مدفونة منذ حوالي سنة ٤٠٠ ميلادية، وتحتوي على ١٣ مخطوطة، تشتمل على اثنتين وخمسين مقالة، ما زالت غير تالفة. وبعد ثلاثين عاماً أعيد تجميعها وهي الآن موجودة في المتحف القبطي في القاهرة.

مكتبة الفكر الجديد

على جدران كهوف فارغة الآن، التي كانت فيها يوماً ما قبور السلالة السادسة للفراعنة (٢٣٥٠-٢٢٠٠ ق.م) توجد آثار لصلوات ومزامير (ترانيم) قبطية وصلبان مسيحية، كان قد رسمها نسّاك أو كهنة كانوا مقيمين فيها بالتتابع. هذه المخطوطات كانت مخفية منذ حوالي ألف وستمئة سنة، ربما بسبب مضامينها الهرطقية أو للاحتفاظ بها من قبل المؤمنين. وهذه النصوص هي نسخ، كُتبت في دير، عن أصل يوناني، بعضها كُتب منذ النصف الثاني من القرن الأول، وكانت معاصرة لأناجيل العهد الجديد. وبعض هذه الكتابات «أناجيل» تنسب إلى الرسل وتلامذة المسيح وتنطوي على تعليمات سرية تعود إلى النخبة فقط وتتعلق بأصل الكون، وطبيعة الخطيئة والشر في العالم، والحاجة للتوبة - أسرار سوف ترسل أولئك الذين يملكون مثل تلك المعرفة (gnosis) إلى الجنة. إن بعض هذه النصوص شديد الأهمية فيما يتعلق بالإشارة إلى دور مريم المجدلية. وبين جماعات الحواريين الذين يظهرون في هذه الكتابات الغنوصية أشخاص لهم حضور أيضاً في العهد الجديد، على سبيل المثال إننا نجد أسماء مثل بطرس، وتوما، وفيليب، ويعقوب ككاشفين لأسرار المسيح، لكن على نحو مغاير لحاشية المسيح في الأناجيل. لكن هذه الجماعات اشتملت على نساء، مثل سالومي، ومارتا، وعلى وجه الخصوص مريم المجدلية. إنها امرأة، وبالذات مريم المجدلية، تلك التي كان لها دور رئيسي في العديد من تلك الكتابات، وهي الأنثى الوحيدة من العهد الجديد التي لها واحد من

النصوص الدينية، وبالذات «إنجيل مريم»، الذي سمي باسمها. على أن الغنوصية مريم المجدلية تتعارض بشدة مع الشخص الذي يعرف في التفاسير التقليدية للعهد الجديد.

الغنوصية هي اسم عام ينسب إلى عدد من التعاليم الدينية التي وجدت من قبل وكانت تنبض في الحياة في القرون الأولى للحقبة المسيحية، تعاليم أكدت على الخلاص من خلال المعرفة السرية، أو gnosis. إن مصطلح الغنوصية لا يشير، في الواقع، إلى جماعة بعينها من المؤمنين، بل إلى مختلف الطوائف التي اشتقت اسمها من مؤسسيها.

أما كيف نشأت الغنوصية فلا تزال موضع نقاش، بيد أن الباحثين المعاصرين يميلون الآن إلى الاعتقاد بأن جذورها تعود إلى الفلسفة الهلينية (اليونانية) المتأخرة، لاسيما الأفلاطونية، مع عناصر مشتقة من معتقدات يهودية ومسيحية... ثم بعد انتصار الكنيسة المعترف بها في القرن الرابع، أصبحت الغنوصية منسية تقريباً.

لكن لم يُسمع صوت الغنوصية مرة أخرى (بعد نسيانه) إلا في نهاية القرن التاسع عشر بعد نشر نصّين غنوصيين مهمين وموثقين، أحدهما من حفريات آثارية في مصر العليا، والآخر من مجموعة تعود إلى أواخر القرن الثامن عشر في لندن. المخطوطة الأولى اكتُشفت من قبل الرحالة الاسكوتلندي الشهير جميس بروس، في ١٧٦٩، قرب طيبة، الأقصر حالياً؛ أما الثانية، Pistis Sophia، التي تظهر فيها مريم المجدلية، فقد بيعت في ١٧٨٥ إلى المتحف البريطاني. وقد بيعت مخطوطة

مكتبة الفكر الجديد

أخرى، تشتمل على «إنجيل مريم»، وتعتبر مريم المجدلية شخصية مركزية فيها، في القاهرة عام ١٨٦٩ . إن اكتشاف وترجمة النصوص في نجع حمادي أماطت اللثام عن غنى وتنوع المعتقدات التي كانت متعايشة مع المسيحية الأولى، يوم كانت الطائفة المسيحية مجرد جماعة بين الكثير التي كانت تنشد الخلاص، وقد كشفت في مريم المجدلية شخصية غامضة ومحددة المعالم في وقت معاً.

في الكونيات الغنوصية، هناك هوة هائلة وليست قابلة للردم بين السماء وعالم المادة، وبين النور والظلام. استناداً إلى العديد من الطوائف الغنوصية، لم يكن اللّه خالقاً العالم ولا حاكمه، وهو غريب عن الإنسان ومجهول عنه. بالنسبة إلى العقل الغنوصي، إن الكائن الأعلى وإن الحب لم يكن من شأنه أن يخلق كوناً من فوضى وشر؛ إن هذا لا يتم صنعه إلا من قبل آلهة أقل شأناً وغير كاملة، مما يدعى بخالق الكون المادي (على غرار ما يتحدث به أفلاطون). فالإنسان غير المثالي، كان صنيعة خالق كون مادي، وقد صنع من جسد ونفس وروح؛ وإن جهله وخطاياه هي المسؤولة عن فساد العالم.

وهنا دخلت مريم المجدلية الكون الغنوصي كشخص غامض يدعى مريم، بهوية غير واضحة، كما يصفها أحد الكتّاب المعاصرين، وأعطي لها دور متميز لا نظير له في العديد من الكتابات التاريخية. في اليونانية كان هذا الاسم مريمنة أو مريّمه، وفي القبطية ماريهام. ومع أن تعريفاً دقيقاً لهذه المريم يبدو مستحيلاً، لكن الشك لا يرقى إلى أنها هي مريم المجدلية

نفسها. في بعض النصوص يشار إليها بوضوح بالاسم، ففي إنجيل فيليب، دعاها المسيح مريم «المجدلية»، وفي Pistis Sophia، كان يدعوها «ماريا المجدلانية». وفيما عدا ذلك، في إنجيل مريم، وفي «حوار المنقذ»، وإنجيل توما، كان دورها المعروف هو كتلميذة، ورؤيوية، ووسيطة، ورسولة الإلهام.

وفي الكتابات الغنوصية، كانت مريم المجدلية موضوع الأشياء الغريبة، مما لا يُدرك في نطاق المسيحية الدارجة. ومن الملاحظ أيضاً أنه لم يكن يشار إليها في الكتابات كخاطئة، أو مومس، مما يعطي انطباعاً بأن هذه كانت تقليداً متأخراً. إنها مريم، «المرأة التي تعرف كل شيء» التي تعكس عظمة الموحي «في حوار المخلّص». وهي إلى ذلك المحاورة الرئيسية للمخلّص، والتي تجلب المعرفة gnosis إلى المريدين الآخرين. وفي Pistis Sophia، هي «وارثة النور»، والناطقة بكلمات Pistis Sophia، وهي رمز لحكمة اللّه. وبصفتها التلميذة المبرزة، والشاهد الأول والمبشر بالحياة الجديدة، فإن دورها يحمل شيئاً كبيراً بالمطلع الكبير. لقد نعتت بـ «رفيقة المنقذ الأرضية»، في مقابل الحكمة السماوية.

في إنجيل مريم الذي كُتب في القرن الثاني، كان المسيح الصاعد إلى السماء يتحاور مع المريدين، ليحثهم على مواصلة رسالته في الوعظ عن مملكة السماء، ثم يرحل، تاركاً المريدين الحزانى يخشون على حياتهم، ذلك أن المريدين إذا كانوا قد فشلوا في الإبقاء على رئيسهم، فكيف يتوقعون أن ينجوا من الموت إذا ذهبوا للوعظ، وهنا تأخذ مريم (المجدلية) المبادرة.

إنها تواسيهم، وتذكر لهم ألا يتراجعوا عن مهمتهم لأن روح المسيح ما تزال معهم، تصونهم، وتقول لهم: «لقد هيأنا وجعلنا رجالاً». منذ هذه اللحظة بدا أنها أصبحت مسؤولة عن الحواريين، وأن سلطتها مستقاة من قربها إلى المسيح، وهي علاقة اعترف بها بطرس في قوله: «يا أخت، نحن نعلم أن المخلص أحبك أكثر من بقية النساء». ثم يحثها على أن تحدثهم عن كلمات المخلّص التي هي وحدها، وعلى انفراد، كان لها شرف سماعها وفهمها. وفي ضوء ذلك تروي عن رؤية المسيح التي استمعتها والتي قال فيها لها إنها مباركة لأنها لم تتردد أمام منظره، حيث قال: «حينما يكون العقل فهناك الكنز».

كان دور ماري المجدلية في هذا النقاش هو التوكيد على مظاهر الرؤيا في الغنوصية، وهي أحد أهم العناصر التي أدينت من قبل المتصدين للهراطقة.

ثم إن بطرس لم يدخل في روعه أن المسيح «تكلم بصورة شخصية مع امرأة»، وليس علانية مع الآخرين (من الذكور). «هل يتعين علينا أن نصغي إليها؟» «هل فضّلها علينا؟». ثم إن مريم تبكي، منجرحة لأنهم يعتقدون أنها اختلقت رؤياها، وأنها تكذب.

لكن الحواري لاوي، جامع الضرائب، الذي طلب منه المسيح أن يصبح حوارياً، أراد التهدئة، متهماً بطرس بالاستجابة لغضبه المعروف. إذا كان المسيح قد زكّاها، فمن يحق له أن يرفضها؟ ويقول: «يقيناً أن المخلّص يعرفها جيداً. لهذا هو أحبها أكثر منا.» ويعنف رفاقه ويحثهم على الوعظ

بمضامين الإنجيل. وينتهي الإنجيل بهذه الكلمات: «وبدأوا بالوعظ».

وإنجيل مريم يحتوي على أشياء مختلفة عن الكتابات الأخرى، والتي تلقي ضوءاً على أفكار مريم المجدلية. فهي هنا لا تصور فقط كمحبوبة المخلص، بل رئيسة المجموعة أيضاً، رغم أن هذا الموقف لم يسلم من اعتراضات. إنه مخالف لما جاء في الكتابات الرسمية. فالعهد الجديد لا يشير البتة إلى دورها الرئاسي. فالكنيسة لم تعترف إلا بمكانتها الفخرية كحوارية الحواريين. إنها منحت الحق بتلقي الرؤى، ولها إدراك أكبر مما عند بطرس، وتتصرف كقناة لتعاليم المسيح. وإذا كانت محبوبة أكثر من بقية الحواريين، فربما جعلها ذلك عرضة للعداء بين الذكور والإناث. كما أن موقعها المتميز ينعكس في (حوارات المخلّص)، حيث تظهر حوارية «تتفوق على البقية»، متفوقة على توما ومتى. بالإضافة إلى أن علاقتها بالمسيح تنعكس في أنها كانت «واحدة من بين ثلاث اللواتي كن دائماً يرافقن المسيح: مريم أمه، وأخته، والمجدلية، تلك التي كانت تدعى الرفيقة». إن الكلمة اليونانية koinonos كانت تقال لمريم المجدلية، وهي تترجم كـ «رفيقة»، أو «زوجة»، المرأة التي تكون للرجل علاقة جنسية معها:

لكن المسيح أحبها أكثر من كل الحواريين وكان يقبّلها من فمها. وكان بقية الحواريين لا يرتاحون إلى ذلك ويعبّرون عن عدم رضاهم. كانوا يقولون له: «لماذا تحبها أكثر منا؟» ويجيبهم: «لماذا لا أحبكم مثلما أحبها؟».

وتروي الكتابات الغنوصية المزيد من الأخبار عن العلاقة بين المسيح والمجدلية. وبعد غياب المسيح تفقد المجدلية حاميها، وتقلق على مصيرها من بطش بطرس وزبانيته من كارهي المرأة. وهناك الكثير من الأخبار عن مصير المجدلية، بعضها يذهب بها إلى الهند. لكن الأخبار المتداولة في الكتب الغنوصية تتفق على أنها ترحل إلى فرنسا عن طريق البحر. وأصبحت حياة المجدلية مادة تجمع ما بين الحقيقة والخيال.

لكن اسم مريم المجدلية يبقى مرتبطاً بالأحداث السياسية- الدينية في جنوب فرنسا، أو ما يسمى بمنطقة Languedoc. فقد كانت هذه المنطقة في القرون الوسطى مركز الفكر الهرطقي. وقد شهدت أول ممارسة إبادة بشرية في تأريخ أوروبا، عندما أبيد أكثر من مئة ألف عضو من أعضاء ما يسمى بالهرطقة الكاثرية Cathar heresy، بأمر من البابا في سياق حملة صليبية. ومنذ تلك الأيام بدأت حملة التفتيش في أوروبا. كان ذلك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ويقال إن عناصر وثنية لا تزال باقية في تلك المنطقة. ويقال إن هناك قبراً لهيرود أنتيباس الحاكم الفلسطيني الذي قطع رأس المعمدان. واستناداً إلى المؤرخ اليهودي يوسفوس، فإن الشريرين الثلاثة، هيرود، وزوجته هيروديا س اللئيمة، وابنة زوجته سالومي، المعروفة براقصة الحجب السبعة، تم نفيهم جميعاً إلى بلدة رومانية في منطقة الغال في فرنسا. هيرود اختفى بلا أثر، وسالومي هلكت في ساقية جبلية، أما هيروديا س

الزوجة فقد عاشت في ذاكرة أبناء المنطقة، لتصبح رئيسة «عفاريت الليل».

وهناك شخصية أسطورية أخرى من تلك المنطقة، هي مِريديانا. واسمها مشتق من كلمتي الظُهر والجنوب (وكلتاهما يقال لهما midi بالفرنسية). ويرتبط اسمها بجيربرت دوريلاك (حوالي ٩٤٠- ١٠٠٣). الذي أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني، الذي سافر إلى إسبانيا (في أيام الحضور العربي) ليتعلم أسرار الكيمياء. لقد تعلم سلفستر الحكمة من مريديانا، التي منحته «جسدها، وثروة، وحكمتها في فن السحر». وتشتق الكاتبة الأميركية باربارا ووكر اسم مريديانا من «ماري ديانا»، وبذلك تربط بين هذه الإلهة الوثنية المركبة والأساطير عن مريم المجدلية في جنوب فرنسا.

وكانت منطقة Languedoc مقراً لفرسان الهيكل Knights Templar في أوروبا إلى يوم القضاء عليهم في أوائل القرن الرابع عشر. ففي ١٢٠٩ تم القضاء على آخر مواطن من بلدة Béziers بلا رحمة، على يد الصليبيين. لقد قتل ما بين خمسة عشر ألفاً من أبناء بيزييه. ولم يكن من بينهم سوى مئتي شخص ممن اتهموا بالهرطقة. ولم يسعفهم شيء، لا الصليب، ولا مذبح الكنيسة، ولا أي شيء. وهنا سأل موفدو البابا الصليبيين كيف تسنى لهم معرفة الهراطقة من بين بقية السكان، فكان الجواب: «اقتلهم جميعاً. وسيعرف اللّه جماعته». وتنبغي الإشارة إلى أن الموعد المظبوط لهذه المذبحة له دلالته. كان في ٢٢ تموز، وهو عيد مريم المجدلية.

وكتب Pierre des Vaux - de - Cernay :

«لقد استبيحت Béziers في يوم مريم المجدلية. آه، أيتها العدالة المقدسة لمنطقة البروفانس!... لقد ادعى الهراطقة أن القديسة مريم المجدلية كانت عشيقة عيسى المسيح... فمن العدل أن ينال هؤلاء الكلاب الكريهة حقهم ويبادوا في يوم عيد تلك التي أهانوها...».

كانت مريم المجدلية أكثر امرأة غموضاً في التأريخ. وقد نتساءل هل كان لها وجود حقيقي، أم أنها صنيعة بعض المعتقدات؟ من كل ما تقدم ، نحن نرجح أنها كائن حقيقي، لكننا نعترف بأن العديد من الأساطير نشأت حول هذه المرأة اللغز، وذات السحر الهائل. مع ذلك، من كانت، وما هو سرها؟

هنالك إشارات قليلة إلى مريم المجدلية في أناجيل العهد الجديد. لكن هذه الإشارات كانت تؤكد أنها أهم حواريات المسيح من بين النساء. لكن الأناجيل تركز على الحواريين الذكور، لكأن هذا المركز لا يليق إلا بالرجال. ويقال إن المسيح نفسه اصطفى حوارييه من الرجال فقط، بالرغم من أن هناك نساء ورد ذكرهنَّ ضمن جاليته.

لكن مريم المجدلية كانت لها شخصية خاصة. فهي كانت المراة الوحيدة في الأناجيل ممن لم يعرفن عن طريق رجل، كأخت لفلان، أو أمه، أو ابنته، أو زوجته. كانت تسمى باسمها فقط وباسم المكان الذي تنتمي إليه. وكانت الأناجيل تشير دائماً إلى أن مريم المجدلية كانت امرأة مستقلة (بلا حامٍ).

وهناك إلماحات أيضاً إلى كونها ذات مورد مستقل. ولا يشاركها هذه الخصوصية في الاسم سوى المسيح (الناصري) ويوحنا (المعمدان).

فعلامَ يدل اسمها؟ إن «المجدلية»، تعني، كما هو واضح، من «مجدل». وكما يقال دائماً إن هذا يشير إلى اسم البلدة المعروفة بصيد السمك: المجدل من الجليل. لكن هذا لا يستند إلى دليل تأريخي، أو أن اسم (مجدل) كان معروفاً في أيام المسيح. فالمجدل كانت تدعى Taricheae من قبل المؤرخ يوسفوس.

واسم مجدلا يمكن أن تكون له عدة معانٍ، مثل «محل الحمامة»، و «محل البرج»، و «برج الهيكل».

والمهم هل كانت لها علاقة بالمسيح؟ هذا سؤال صعب، لأنه يثير مشكلة في الإطار الديني. لذلك لن نعثر على جواب لهذا السؤال في الكتب الدينية المسيحية، ونعني بالذات الأناجيل. لكن هناك إشارات عن وجود هذه العلاقة في مرويات أخرى. فلماذا وجدت هذه الأخبار إن لم تكن تستند إلى شيء من الصحة؟ لماذا تختلق هذه الأخبار عن المسيح وعلاقته بامرأة إذا كانت غير صحيحة؟ فليس من السهل تلفيق أخبار عن المسيح بكل هالته الدينية، ما لم يكن لها ظل من الصحة. وعلى أية حال سنحاول أن نناقش هذا الموضوع على نحو موضوعي.

حاول كثير من المعلقين المعاصرين افتراض وجود علاقة زوجية بين المسيح والمجدلية، لكن صمت الأناجيل حول هذا

الموضوع يبقى غامضاً إن لم يكن مؤشراً سلبياً على وجود مثل هذه العلاقة. على أننا إذا رجعنا إلى الكتابات الهرطقية، فإننا سنجد أن المسيح والمجدلية كانا شريكي حياة جنسية، وليس كزوج وزوجة. فالأناجيل الغنوصية، والكتابات الأخرى كانت تشير إما إلى أنها كانت «محظية» المسيح، أو «رفيقته»، أو كانت حذرة في استعمال كلمات غامضة بما ينم عن «اتحادهما».

لكنني سأتلبث طويلاً أمام حادث الزفاف في قانا، الذي حضره المسيح، وهو مثبت فقط في انجيل يوحنا، ولم يذكر في بقية الأناجيل. وفي هذه المناسبة أحال المسيح الماء إلى خمر. ولا بد من الإشارة إلى أن المؤلفَين بيجنت لي، ولنكولن اعتبرا في كتابهما (الدم المقدس والكأس المقدسة) أن العريس هو المسيح. وهو زعم ترتبت عليه أحكام قد تكون متسرعة حول زواج المسيح. فاقتصار خبر هذا الزفاف على إنجيل يوحنا دون بقية الأناجيل أثار كثيراً من التساؤلات. لكن الأناجيل الغنوصية تطرقت إلى هذا الموضوع بحرارة، حيث أشارت إلى أن رفيقة المسيح هي مريم المجدلية.

لكنني سأغتنمها فرصة للحديث عن سيرة حياة مريم المجدلية، حتى في كتابات متأخرة، ولسنا على قناعة تامة بموثوقيتها. جاء في كتاب (الأسطورة الذهبية) لمؤلفه Varagine أن مريم المجدلية ولدت في عائلة نبيلة، أبوها سايروس وأمها بوكاريا، ينحدران من عائلة ملكية، وأن جمالها وغناها ساقاها إلى الاستسلام إلى الملذات الجسدية. وفي كتاب آخر عن حياتها ورد وصف عن جمالها (متألقة في مفاتنها الجسدية،

مكتبة الفكر الجديد

كانت شديدة الجاذبية... طلعتها الساحرة، وشعرها المذهل، وسيماؤها الآسرة، وشخصيتها الساحرة...) «لكن الجمال الزاهي نادراً ما يجتمع مع العفة».

أعود إلى قصة الزفاف في قانا. القصة رويت في الفصل الثاني من إنجيل يوحنا، كما ذكرنا. هنا كان المسيح وأمه ضيفين في حفل الزواج (إلا إذا اعتبرناه الزوج المزعوم كما تذهب إلى ذلك المصادر الغنوصية). عندما نفد الخمر، قالت العذراء لابنها: «لم يعد لديهم خمر.» فحيّر جواب المسيح الفوري العديد من المعلقين: «أيتها المرأة، ماذا عساي أن أفعله معك؟ إن وقتي لم يحن بعد.» ثم يوعز للخدم بأن يملأوا ست أوانٍ ماءً ويسكبوها. ويمتدح المسؤول عن العرس العروس - التي لم يذكر اسمها- وكالعادة المتبعة فإن الخمرة الرديئة تترك حتى النهاية، لكنه بدل ذلك أبقى الخمرة الجيدة. (أنا هنا أترجم ما أقرأه بالحرف الواحد رغم غموضه عليّ).

إن الزعم بأن يوحنا الإنجيلي كان العريس في قانا ورد أولاً في تقدمة لكتابات القديس أوغسطين، بيد أن اسم عروسه لم يُكشف عنه. في القرن السابع ذكر Bede نفس المعلومات، وكذلك فعل والفريد سترابو الذي أضاف أن المسيح استودع أمه عند يوحنا. في عظته الدينية عن عيد رفع القديس يوحنا إلى السماء، وصف الغريك الأنغلوسكسوني، زفاف «محبوب المسيح»، بأنه ترك عروسه في عذريتها، لكنه أمسك عن ذكر هوية العروس. وقد ذكرت مجهولية هوية العروس في تعليق Honorius Augustodunensis على عيد قانا، حيث يظهر يوحنا

مرة أخرى كعريس، لكن في موضع آخر، في موعظته عن مريم المجدلية، وصفها هونوريوس بأنها «مريم من قلعة مجدلا»، التي خذلها زوجها، وهربت إلى أورشليم، لتصبح «مومساً قذرة ومبتذلة، والتي برغم مولدها، وإرادتها الحرة، أوجدت ماخوراً للخطيئة، معبداً للشياطين، فدخلت رأسها سبعة شياطين».

الغريب في الأمر أن العروس لم يذكر اسمها، وأن يوحنا الإنجيلي «محبوب المسيح» رفض الوصال الجسدي بها، من أجل وصال روحي. فقد قال المسيح ليوحنا: «ينبغي أن تعلم جيداً أن الزواج الروحي هو أكثر أهلاً للمكافأة من الجسدي».

ويمكن الإشارة إلى الاعتبارات الاجتماعية في هذه القصة. فيوحنا الإنجيلي كان من عائلة متواضعة، كان ابن صائد سمك. أما مريم المجدلية فكانت من عائلة ثرية. لكن يوحنا كان يمتّ للعذراء بصلة قربى، وهو كما يبدو الفتى الوسيم بامتياز بين كل رجال الجالية المسيحية، فضلاً عن أنه كان «محبوب المسيح». مع ذلك لم يتم الزواج، لأن الروايات المسيحية أرادت أن يصبح يوحنا الانجيلي كالمسيح في علاقته مع المرأة.

هذه أخبار مضطربة وضعيفة، ومبتسرة. ونحن لا نستطيع أن نخرج منها بشيء. لذلك لن نكون عرضة للملامة إذا فكرنا في الرجوع إلى مصادر أخرى، لا تتفق مع النهج الرسمي. والأهم من هذا أننا سنبقى في حاجة إلى معرفة أوسع وأدق عن حياة المسيح. وأنا بانتظار أن يصلني كتاب مهم صدر في الثمانينات عن حياة المسيح، يؤكد أن هذا المسيح الذي نعرفه

هو مسيحان في مسيح واحد. وقد جمعت الكنيسة بينهما. وهذا هو سر الاضطراب في سيرة حياة المسيح التي تروى لنا.

لكنني أريد أن أنهي حديثي عن مريم المجدلية بشيئين، هما أصداء مريم المجدلية في عالم الأدب والفن والموسيقى؛ وهوية مريم المجدلية.

هناك نظرتان عن مريم المجدلية، إحداهما كخاطئة؛ والثانية كقديسة بعد توبتها. لكن هناك ما ينزهها عن الخطيئة. على أن المجدلية أصبحت معروفة بالمرأة الزالّة، ثم التائبة عن زلّتها. وهكذا صُوِّرت في الشعر، والقصص، والفنون التشكيلية، والموسيقى.

لكن المسيحية المدينة لمريم المجدلية باجتراح فكرة البعث، بعث المسيح من القبر بعد موته، وصعوده إلى السماء، تتحمل الإهانة التأريخية التي أوقعتها بالمجدلية في كلمات لوقا في إنجيله عنها. إن لوقا هو المسؤول عن النظرة المذلة للمرأة، عندما تمارس «الخطيئة». فلوقا في إنجيله هو الذي قدّم صورة السقوط لمريم المجدلية، فأصبح ذلك لطخة لازمتها على مدى التأريخ.

في نهاية الفصل السابع من إنجيله، قبل أن يقدم لوقا مريم المجدلية بالاسم لأول مرة كواحدة من أتباع المسيح، يصف الحادثة حيث قدمت امرأة «التي كانت خاطئة» لتنشد الغفران من المسيح. جاء في إنجيله:

«وأحب أحد الفريسيين أن يأكل معه، فذهب إلى منزل الفريسي، واتخذ مقعده أمام مائدة اللحم. رويدك. إن امرأة من

البلدة، التي كانت خاطئة، عندما علمت أن المسيح كان يجلس أمام اللحم في منزل الفريسي، حملت صندوقاً من المرمر فيه مرهم. ووقفت عند قدميه قلقة تبكي. وبدأت تغسل قدميه بدموعها، وتمسحهما بشعر رأسها. وقبّلت قدميه، ومسحتهما بالمرهم. والآن عندما شاهد ذلك الفريسي الذي دعاه، قال لنفسه إذا كان نبياً، فسيعرف من هي المرأة وما هي طبيعتها، تلك التي لمسته، ذلك أنها خاطئة».

مع أن الكلمة اليونانية للبغي، Porin، التي تظهر في أماكن أخرى في إنجيل لوقا، لم تستعمل هنا، إلا أن التوكيد الذي ورد في عبارة لوقا يبدو أنه يشير إلى قناعة الأخير بأن «خطيئة» المرأة كانت جنسية، أي أنها مومس. وهناك إشارة أخرى إلى سقوطها، هي أن شعرها كان مكشوفاً، ذلك أن البغايا وحدهن كن من يكشفن شعورهن أمام الآخرين. كما أن ترك الشعر غير مغطى هو علامة أخرى على الشك في وضع المرأة (الجانح)... ولم ترد إشارة إلى حالة المرأة الزوجية. لكن يبدو من المستبعد أن تكون بغياً، ذلك أنها لو كانت كذلك، لعوقبت برجمها بالحجارة، طبقاً للشريعة الموسوية. لكن مع ذلك فإن كل الدلائل كانت تدل على أن خطيئة المرأة جنسية. فماذا نستنتج من ذلك؟ أن المرأة لم تكن يهودية. (وإلا لتعرضت للرجم)... أنا أتحدث عن مريم المجدلية.

ثم أعيد للمجدلية الاعتبار عندما أتاح لها المسيح أن تكون أول من يعلن عن نبأ صعوده إلى السماء بعد موته. مع ذلك لم تهضم الكنيسة هذا النبأ أو الحدث، فحاولت التقليل من شأنه

مكتبة الفكر الجديد

بغير وسيلة، (أنا لا أقصد بذلك الخبر بحد ذاته، بل ناقلة الخبر وبصفتها امرأة وليست رجلاً).

جاء في انجيل مرقص (١٦ : ٩-١١)

«والآن عندما كان المسيح قد صعد إلى السماء مبكراً في اليوم الأول من الأسبوع، ظهر أولاً لمريم المجدلية، التي طرد منها سبعة شياطين.

وذهبت وقالت لهم إنها كانت معه، فحزنوا وبكوا.

وهم، عندما سمعوا أنه كان حياً، وقد رأته هي، لم يصدقوا.»

وعن حادث القبر الخالي (قبر المسيح) جاء في إنجيل يوحنا: «في أول يوم من الأسبوع جاءت مريم المجدلية باكراً، عندما كانت الدنيا ما تزال مظلمة.» ولدى اكتشافها ان الحجر أزيح وأن الضريح خالٍ، وخوفاً من أن تكون الجثة سرقت، أو نقلها اليهود، سارعت مريم المجدلية «فركضت، وذهبت إلى سمعان بطرس، والى الحواري الآخر الذي يحبه المسيح» لتخبرهما عما شاهدته. وقالت: «لقد أخذوا السيد خارج الضريح، ولا نعرف أين أضجعوه.» فكانت هنا غير واضحة فيما إذا كانت هنا قد ذهبت إلى الضريح وحيدة، أم مع بقية النساء. فهرع الرجلان إلى الضريح، وسبق الحواري الآخر بطرس، ووصل القبر أولاً، وانحنى لينظر. فوجد الملابس التي لف بها الجسد، لكنه لم يدخل. ثم دخل بطرس، ورأى الملابس ، ثم تبعه «الحواري الآخر»، الذي كما جاء في كلمات يوحنا «رأى وآمن».

مكتبة الفكر الجديد

ثم عاد الحواريان إلى منزليهما، تاركين مريم المجدلية لتبقى ساهرة على الضريح. وبينما كانت واقفة تبكي في الخارج، انحنت لتلقي نظرة فوجدت ملاكين باللباس الأبيض يجلسان على نهايتي المكان الذي كان جسد المسيح قد سُجي فيه. وعندما سألاها لماذا تبكي، أجابت: «لأنهم أخذوا سيدي، ولا أعلم أين وضعوه.» وفي سياق حزنها يبدو أنها لم تلاحظ أن ملابس الدفن بقيت في القبر، وافترضت أن الجسد كان قد أخذ. ثم حصل المشهد الجميل والدرامي عن تبيان الحقيقة في الحديقة، الذي صُور دائماً في الأعمال التشكيلية من بدايات القرون الوسطى:

جاء في إنجيل يوحنا:

«وبعد ان قالت ذلك. التفتت إلى الوراء، فرأت المسيح واقفاً، لكنها لم تعلم أنه هو المسيح. فقال لها المسيح، أيتها المرأة، ما الذي يبكيك؟ وعمن تبحثين؟ فتصورته البستاني، قالت له «سيدي، إذا كنت قد حملته من هنا، فقل لي أين سجيته، وسآخذه من هنا.» فقال لها المسيح: «مريم.» عند ذاك استدارت وقالت له: «ربوني» بما يعني سيدي» (٢٠: ١٤-١٦)

أنا هنا سأناقش النص الذي أنقل عنه هذا الخبر. جاء في النص: بعد التعرف على المسيح، خاطبته مريم المجدلية بكلمة «ربوني»، وهي كلمة عبرية تقال للمعلم، ولها وقع أكبر من كلمة «ربي»، والتي كان يقصد بها اللّه، لكنني أتساءل هنا وأقول إن المسيح كان يتكلم الآرامية، وليس العبرية. ولا بد أن المجدلية كانت تكلمه باللغة التي كان يتكلم بها، أي الآرامية. وهذا

مكتبة الفكر الجديد

يدعو للاعتقاد أيضاً أنها لم تكن يهودية وكما أشرنا قبل قليل أنها لم ترجم بالحجارة بسبب سقوطها. ما يعني أنها لم تكن يهودية.

لكنني سأواصل الحديث عن هذا الخبر. هنا حاولت المجدلية أن تطوق المسيح بيديها إعراباً عن فرحتها باكتشاف حقيقته، أو تطوق قدميه، لكنه بادرها بالقول: «لا تلمسيني»، أو كما تعرف هذه العبارة باللاتينية (ترجمة) «Noli me tangere»، وباليونانية كما وردت بالنص «mi mou aptou»، التي تفيد معنى «لا تحاولي أن تلمسيني، أو تتعلقي بي، أو تعانقيني». ويشرح المسيح لماذا ينبغي عليها أن تمتنع عن لمسه بقوله: «ذلك أنني لم أصعد بعد إلى أبي» مما جعل المجدلية تستنتج أن علاقتها معه تغيرت الآن، ذلك أن أي نوع من التواصل الفيزيقي الذي لعلها كانت تمارسه معه سابقاً لم يعد ملائماً، وأنها يجب أن تكف عن عبادته في الإطار البشري والجسدي. ثم قال لها المسيح بأن تخبر «إخوته»، «أنا أصعد إلى أبي، وأبيك، وإلى إلهي، وإلهك.» وينتهي المشهد بمريم وهي تخبر الحواريين بأنها شاهدت المسيح، وسلمت رسالته. ولم ينقل حديثها سوى يوحنا: فكتاب العهد الجديد المدون بالإغريقية يقر بما يلي: «وجاءت مريم المجدلية تعلن إلى الحواريين، أنها رأت المسيح، واستلمت رسالته. يوحنا وحده نقل كلامها: النسخة الإغريقية من العهد الجديد تفيد بأن «مريم المجدلية جاءت لتعلن للحواريين، أنها شاهدت المسيح، وتلك الأشياء التي قالها لها.» وفي إنجيل يوحنا لا توجد إشارة إلى أن كلماتها لم

يصدقوها عليها؛ وتلا ذلك ظهور المسيح للحواريين ثم شك توما. وعلى أية حال، فإن مريم المجدلية تظهر في إنجيل يوحنا، كواحدة من عدد من النساء المؤمنات، وكانت بصورة لا لبس فيها أول شاهد على القبر الخالي والمسيح الصاعد [إلى السماء]، وهو حجر الزاوية في العقيدة المسيحية.

الإسرائيليون الأوائل أزالوا كل عناصر الأنثى من الدين في أرض كنعان. والشيء نفسه حدث مع الدين المسيحي. وحاول الغنوصيون أن يجعلوا مريم المجدلية شخصية مركزية، لكن هذه المحاولة فشلت في القرن الرابع، لأنهم اعتُبروا هراطقة. وأعيد الاهتمام بمريم العذراء. واعتبرت المجدلية عاهرة تائبة. وتبخرت كل الآمال في اقترانها بالمسيح، كزوجة، أو رفيقة، أو شريكة حياة، وربما حتى كعشيقة. لقد كان النصر لحزب بطرس وبولص. وبقيت الكلمة لمتى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. وكما أكد Eusebius (٢٦٠-٣٤٠م) الذي يُعتبر الأب الروحي لتأريخ الكنيسة: كان ذلك بسبب سياسة الكنيسة التي تكللت بالنجاح بعد الميثاق مع قسطنطين لتدمير كل الكتابات الهرطقية. كانت سياسة اعتمدها قسطنطين عندما نصح بحرق كل كتابات ماني وأتباعه، بعد أن كان هو من مؤيدي تلك النحلة.

آه، لقد لف النسيان مأثرة المجدلية في شهادتها على حدث البعث، وتبخر لقب «حوارية الحواريين»، وبقيت لطخة العاهرة التائبة.

لكنها أُنصفت منذ القرن التاسع عشر في أعمال أشهر فناني أوروبا. فقد رسم لها تيتيان لوحات كثيرة. وأصبحت مريم

مكتبة الفكر الجديد

المجدلية عند كتّاب أوروبا وفنانيها «طيراً فاتناً في قفص» كما عبّرت سوزان هاسكنز. من بينهم تيوفيل غوتييه في قصيدة له: «بين العطور، في سعف النخلة، أغنية العندليب وعش الحمامة المطوقة». لقد كانت عند غوتييه المرأة المثالية، «البغي المقدس»، و«أحب النساء»، و«المحظية المقدسة». إنها الأكثر جمالاً من العذراء.

وألف عنها الموسيقي ماسينيه أوبرا في ١٨٧٣. كانت أول أوبرا له عن النساء ذوات الفضائل المشكوك فيها. وكانت هذه إرهاصاً لأوبرات رائعة أخرى لپوتشيني، وريكارد شتراوس، وياناتشيك. وألف داندي كانتاتا عن مريم المجدلية بمصاحبة البيانو والهارمونيوم.

وكانت المراة الساقطة شخصية شائقة في أواخر القرن التاسع عشر، في أوبرات ڤيردي، و پوتشيني، و بليني. لقد قُضي على بطلتها بالموت لأنها انتهكت الأعراف البرجوازية في الجنس، بأسماء مثل توسكا، وميمي، ونورما، وڤيوليت. لكن أياً من هؤلاء الموسيقين لم يكتشف حقيقة مريم المجدلية. وهي على أية حال ظهرت في عملين أوبراليين آخرين، لكن بصورة متنكرة، كمادالينا، المرأة السهلة القياد في أوبرا ريغوليتو لڤيردي. وفي توسكا لپوتشيني في ١٩٠٠ انها صورة عن مريم المجدلية بعينين واسعتين زرقاوين وشعر ذهبي.

إن ابنة الهوى مادالينا أعطيت اسمها في ذكرى أشهر بغي مسيحية تائبة. إن دورها كسيرينة (كما في قصة الأوذيسة) في ريغوليتو، التي تقود الرجال إلى دمارهم، شبيه بدور كوندري،

المرأة الوحشية والقاتلة في أوبرا فاغنر (parsifal) (١٨٨٢). كوندري المسحورة التي تغوي الفرسان المسيحيين الفاضلين في رسالتهم الصحيحة كحماة للكأس المقدسة في أوبرا فاغنر. على أية حال إن الربط بينها وبين مريم المجدلية لم يكن مقصوراً فقط على الدور الجنسي كما هي الحال مع المسكينة مادالينا، لكنه أكثر وضوحاً في التوازي بين parsifal، «النقي» أو «البغي المقدسة»، والمسيح.

وأنجز النحات الفرنسي الشهير أوغست رودان (١٨٤٠-١٩١٤) دراستين من الجص لمريم المجدلية كمحبة للمسيح. كان العمل رقيقاً ومثيراً في الوقت نفسه. وكان الشاعر راينر ماريا ريلكه الذي تعرف على هذا النحت جيداً، قد تزوج من كلارا فيشوف، إحدى تلميذات رودان. وكتب عن المسيح والمجدلية عملاً شعرياً طويلاً.

كنت أريد أن أتحدث عن فرسان الهيكل Templars، والماسونيين، لأنهم مجدوا مريم المجدلية. لكنني قد أعود إليهم في ملحق، إذا سنحت الظروف، لأنني أريد أن أنتهي من موضوع المجدلية، لأنتقل إلى الشخصيتين البارزتين في المسيحية، وأعني بهما يوحنا المعمدان، والمسيح. والآن سأنقل كلمات الباحثة البريطانية Susan Haskins عن مريم المجدلية كخاتمة لهذا الفصل: إن الأفكار عن التحريم (Taboo)، والتلوث المعززين من المعتقدات الأنثروبولوجية الكامنة في اليهودية والفلسفة الهلينية، رغم أن المسيح رفضها، عادت فظهرت بعد موته ثم امتصاصها من جديد في الفكر

مكتبة الفكر الجديد

المسيحي في القرون التالية. فالمرأة ما زالت تقرن في المخيلة المسيحية بالجسدي، الذي بدوره ما زال مقترناً بالخطيئة. إن الرمزية كانت وما تزال تستعمل لتخليد الأنظمة الأبوية (البطرياركية): عندما يُنظر إلى رمز الصلاح والنقاء كامرأة عذراء، ومقابلتها على الصعيد الأخلاقي، في الشر والترف، كامرأة جنسانية، فإن السياسة تحضر في الذهن. وقد نسأل أنفسنا من اختلق هذه الرموز. إن الديانات الرئيسية الحالية هي الأخرى صنيعة الرجال، وبالتالي صنعت الفكر الرجالي. وكما أكدت ماري مجلي Mary Midgley: «لقد شوهت الأيديولوجيا الأبوية القديمة جداً موروثنا... أولاً، ان النساء تم النظر إليهن تماماً في صورة حواء، كمصدر رئيسي للشر. ثانياً، وعلى نحو أعم، ان الطريقة العامة التي تم تصوير الشر بها قد شوهت على نحو قدري بالتفكير الأبوي.» في إطار الدين، ينظر إلى النساء كمخلوقات متدنيات ومن الدرجة الثانية - كبنات حواء، بدون استقامة أخلاقية، أو تحت عبارة مريم العذراء كتابعة ومستسلمة- في المجتمع إلى الوقت الراهن تقريباً.

بالرغم من أن البغي التائبة لم تعد رمزاً، إلا أن الأيديولوجيا الكامنة خلف اصطناعها لم تتراجع، بل بقي لها صداها... ففي أيلول ١٩٨٩ ظهرت حكاية تعتبر مريم العذراء قد عفّى عليها الزمن، خارج الموضة، وتامة الأوصاف تماماً، لتكون موديلاً للمرأة الحديثة، كما نشر في جريدة الغارديان. وطرحت بديلتان، إحداهما جوليان نوريتش، والثانية هي مريم المجدلية. كانت جوليان نوريتش تتميز باعتبارها «جيش من

النساء القديسات اللواتي حققن ما يراد منهن من الطهر والنقاء.»
أما مريم المجدلية فميزتها أنها المرأة الحقيقية والعاطفية التي شاهدت المسيح بعد البعث. كانت «إنسانية بكل معنى الكلمة»:

لقد بكت كثيراً، في البداية. واستجيب لها بسخاء. وهي معروفة على نطاق واسع باعتبارها تلك المرأة التي غسلت قدمي المسيح بشعرها [الأصح بدموعها]... إن إنسانيتها لها عمق خاص. والشيء الأكثر أهمية هو خطيئتها. فقد كانت، على أية حال، عضواً في أقدم مهنة. لكن مع ذلك اصطفاها المسيح وأنعم عليها بشيء استثنائي. إن حبه إياها، ورغبته في تقبّل ضعفها البشري هما صورة عن موقفه تجاه كل المؤمنين.

استدراكات:

أولاً: أنا لم أتوصل حتى الآن إلى الهوية الحقيقية لمريم المجدلية. أنا لدي إحساس بأنها قد لا تكون يهودية، مثل يوحنا المعمدان، ومثل المسيح. لكن هناك إشارات إلى أنها ربما كانت يهودية. من بين هذه الإشارات أنها تعرضت للرجم. جاء هذا في إنجيل يوحنا (٨:٣-١١) عندما همّ الفريسيون برجمها، لكن المسيح أنقذها. أنا لا «أحقد» على النساء اليهوديات. وفي واقع الحال أنا تعرفت يوماً إلى امرأة يهودية من نيويورك. التقيت بها في بيت صديق متوفى الآن. وكان الفنان سلمان شكر موجوداً، ولعل هذا كان سبب لقائنا. وتحدثت معي هذه المرأة اليهودية، واسمها شولاميت عن بعل زبوب، واتفقنا على أشياء بشأنه. ثم استحسنت صحبتي، وأعربت عن استعدادها

لزيارة بودابست التي كنت أقيم فيها. ثم انقطعت علاقتها معي فوراً، فأدركت أنها ربما شكلت علاقة زواج مع شخص قد يكون يهودياً مثلها.

وأعجبت بامرأة يهودية أخرى كانت عراقية. وكانت زميلة لشخص تعرفت إليه مؤخراً، الزمالة كانت في كلية الآداب العراقية. وهي بقيت في العراق حتى أوائل السبعينات، أي في ظل البعث. لكنها لم تستطع المقاومة بعد ذلك. فرحلت إلى إسرائيل، وبقيت تكاتب صاحبي الذي لجأ إلى بريطانيا. وأخبرني أنها أرسلت إليه (كليجة) عراقية من تل أبيب. لشدما هزتني هذه المبادرة. وهذه جعلتني أحب اليهوديات.

لكنني كنت أشك في «يهودية» مريم المجدلية. وسأبقى أبحث عن هويتها. فالمعلومات المذكورة في الأناجيل لا يمكن الركون إليها. من الممكن أن يكون بطرس، وبولص يهوديين، لكن ليس المسيح. بالرغم من أنه كان يريد أن ينتسب إلى الملك داود، ربما لكي يبرر مطالبته بالملوكية. وأنا في كل الأحوال لا أثق بكتابات الإنجيليين.

ثانياً: طبيعة علاقتها بالمسيح

ليست هناك إشارة واحدة في أي من الأناجيل الأربعة المعتمدة، على وجود علاقة بين مريم المجدلية والمسيح. لكن الأناجيل الأخرى غير المعتمدة، والكتابات الغنوصية، والكتابات الهرطقية تضج بأخبار العلاقة بينهما. فأيهما نصدق. وهل يعقل أن الكتب التي تعترف بهذه العلاقة تكذب وتدجل بصورة كاملة؟

مكتبة الفكر الجديد

إن وجود مثل هذه العلاقة بينهما يضعف الهالة الدينية للمسيح، ويضع علامات تساؤل على حقيقة الديانة المسيحية. هناك مزاعم متكررة تذهب إلى أن المسيح كانت له علاقة جسدية مع المجدلية، وبعض هذه المزاعم ترقى إلى حالة الزواج بينهما. فما هي حقيقة الأمر؟ لكنني أنا لا أميل إلى الاعتقاد بذلك، إنما لا أنفي احتمال وجود علاقة بينهما.

ثالثاً: التمست من الصديق أحمد أصفهاني في أن يتحرى عن كلمة (ربوني). هل هي آرامية؟ فاتصل الصديق أحمد بالأب شفيق أبو زيد، راعي الكنيسة الكاثوليكية في لندن، وقال له: «رابونا جاءت من الآرامية القديمة، ومنها إلى السريانية، ومعناها: معلمنا.»

فدعاني هذا إلى الاعتقاد بأن المجدلية كانت تتكلم مع المسيح بالآرامية، التي كان يتكلم بها هو، وليس العبرية، كما ورد في النص الذي تطرقت إليه سابقاً.

رابعاً: لم يصلني الكتاب عن المسيحَيْن في مسيح واحد. أعتقد أن هذا الخبر غير دقيق. وصلني كتابان عن حياة المسيح، وقرأتهما. وسأستند إليهما في حديثي عن المسيح. لكنني لاحظت أن الكتابين يلحّان على يهودية المسيح: المسيح اليهودي. وهذا سيكون متعارضاً مع ما سأتوصل إليه من أن المسيح لم يكن يهودياً.

مع تقدم العلم في القرن التاسع عشر، بدأت تظهر آراء تشكك في الرواية المسيحية، وذهب البعض بالشك أيضاً في حقيقة المسيح، على نحو ما أفتى به عالم لاهوت ألماني، حول

قدسية المسيح واستطراداً حول سوية عقل مريم المجدلية نفسها. في محاولة بدأت في سياق الحركة التنويرية للكشف عن تأريخية المسيح، تساءل الباحثون واللاهوتيون عن قدسية الكتاب المقدس، والأخبار ما فوق الطبيعية في الإنجيل، مثل الأحداث الثيوقانية (تجلّي الإله للإنسان) في حكاية البعث. كان ذلك مقترب ديفد فريدريك شتراوس في (١٨٣٥-١٩٣٦)، الذي ترجمته من الألمانية إلى الإنكليزية الكاتبة البريطانية المعروفة جورج إليوت. زعم أن العناصر الأسطورية وما يدخل في باب المعجزات دخلت الأناجيل في أثناء تأليفها في القرن الثاني. وسخر شتراوس من حقيقة كون المسيحية تأسست على «هذيانات امرأة معتوهة ومحرومة من الحب». و«إن عقلية مريم المجدلية الطائشة هي التي ساقتها إلى العودة إلى القبر، هي التي كان بها مس من الشيطان».

لكن بالرغم من عنف آرائه هذه، كان شتراوس يعتقد أن المسيحية لم تتزعزع في جوهرها من هذه الأساطير، لأن الدين برمّته كان قائماً على الأفكار (بمعنى المعتقدات) وليس على الحقائق.

وفي هذا الإطار تقريباً كتب إرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢) الباحث الفرنسي في اللاهوتيات، والمستشرق، والفيلسوف. قال عن المسيح إنه كان مجرد واعظ متجول لكنه لا يقارن بآخرين. واعتبر المجدلية «أكثر صديقة إخلاصاً للمسيح» وقال عنها أيضاً: «إنها امرأة سريعة الانفعال، مبتلاة «بعلل عصابية يصعب فهمها. لكن المسيح كان يداري تلك المرأة العصابية.

مكتبة الفكر الجديد

وهي كانت لأجل ذلك مخلصة له على الدوام، وبالتالي لعبت دوراً هائلاً في قصته. . . فهي كانت الواسطة الرئيسية في خلق الاعتقاد بالبعث. وعلى نهج شتراوس، يعترف بدورها الكبير في خلق الديانة المسيحية. «إن مأثرة البعث، تعود من ثم إلى مريم المجدلية. بعد المسيح كانت المجدلية هي التي قدمت الكثير للمسيحية.»

سنحاول تقديم صورة عن الوضع في فلسطين في أيام المسيح لكننا سنرجع إلى الوراء قليلاً، وكثيراً، بغير إسهاب، بأمل أن تكون الصورة أكثر وضوحاً. في القرن الحادي عشر ق.م اختار الملك داود -على ما يُزعم- أورشليم عاصمة له. وهنا بنى ابنه سليمان الهيكل الأول لتقديم الأضاحي الحيوانية. وفي القرن السادس ق.م اجتاح البابليون أورشليم ودمروا الهيكل ومعظم أورشليم. وساقوا أقدر الناس إلى الأسر في بابل التي أخذوا ينوحون فيها على مصيرهم.

وقيل إن معظم كتاب العهد القديم دُوّن في هذه المرحلة، وأن المنتحلين اليهود استقوا معلوماتهم عن قصة الطوفان من البابليين. لكن الحرمانات التي عانى منها اليهود دفعتهم إلى عزل تفردهم عن الشعوب الأخرى، تفرد كانوا مستعدين للتمسك به والدفاع عنه، حتى على حساب حياتهم، ضد أي اجتراء يمكن أن يواجههم في المستقبل.

في ٥٣٩ ق.م غزا كورش البابليين، وسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم واستعادة هيكلهم. ثم بعد قرنين قضى الاسكندر على حكم الفرس وهزم داريوس في معركة إيسوس. فوجد

مكتبة الفكر الجديد

اليهود أنفسهم في مركز الصراع بين سلالتين من ورثة الاسكندر. هما السلوقيون في بلاد ما بين النهرين والبطالسة في مصر. لكن من بين نتائج هذه الأحداث أن المنطقة تعرضت للتاثير الإغريقي الذي تمخض عن صلات سياسية واقتصادية واسعة. لكن الأمور أخذت طابعاً أشد منذ ١٦٧ ق.م عندما حاول الملك السلوقي انتيوخوس الرابع أيبفانس، الذي تشبّه بالاسكندر، فرض دين هليني عالمي بإلغاء عطلة يوم السبت، وتحريم الختان، ونصب تمثال زيوس في هيكل أورشليم، والتضحية بالخنازير في أروقة الهيكل. وتعامل أنتيوخوس بشدة مع المخالفين في الرأي، ودمر الكتاب المقدس اليهودي، وأحرق كل من يعيش تحت خيمة التوراة. وكما جاء في كتاب المكابيين «قتلت النساء اللواتي لديهن أطفال مختونون. . . مع أطفالهن مدلّين حول أعناقهن.»

وفي ٦٣ ق.م. جاء الرومان. فبعد أن احتل الجنرال الروماني Pompey سوريا، تقدم بجيشه نحو أورشليم، ملاقياً مقاومة جادة في الهيكل فقط. واكتشف أن يوم السبت كان يوماً ملائماً لقتال اليهود فيه. فباتباع تعاليم التوراة، فإنهم لن يدافعوا عن منازلهم في ذلك اليوم، بل عن أنفسهم فقط وفي النفس الأخير فقط.

وبعد ثلاث وعشرين سنة منح الرومان اليهود حكماً ذاتياً بتعيين ملك تابع، هو الأدومي هيرود الكبير، الذي كان قد انتسب إلى العائلة الهوسمانية، لكنه كان مكروهاً من شعبه منذ لحظة تعيينه. وصفّى هيرود كل من اعتبره خطراً عليه، بمن فيهم

زوجته واثنان من أبنائه، وأحاط نفسه بشبكة من المخبرين والبوليس السري.

في هذا الجو السياسي ولد المسيح. مع ذلك قد يكون من الخطأ إعطاء انطباع بأن روما والحكام من سلالة هيرودس فرضوا على الشعب اليهودي حكماً قاسياً من الإرهاب. فلقد كان من سياسة روما أن تتساهل مع المعتقدات المحلية. بل إن هيرود الكبير وضع خططاً لجعل هيكل أورشليم أكبر وأفخم بناية دينية في العالم.

مكتبة الفكر الجديد

المجدلية

كنت أريد أن أنتهي من موضوع مريم المجدلية، لأنتقل إلى موضوع يوحنا المعمدان والمسيح. إلا أنني وجدت أن موضوع مريم لم ينته. فقد فوجئت بأن هناك من يرى أن مريم المجدلية كانت ضحية لمؤامرة كبرى لتشويه سمعتها والحط من مكانة المرأة. ذلك أن المسيح كان يريد مريم أن تكون خليفته، ووصية على مبادئه، وليس بطرس. لكن تلميذه بطرس أفسد هذه الخطة. وعمدت الكنيسة لتشويه سمعة مريم لكي تحرمها من فرصة الولاية.

إن الصورة التي يعرفها العالم عن المجدلية هي أنها كانت العاهرة التي أنقذها المسيح من الموت لتتوب على يديه وتتبعه حتى النهاية؛ وهي صورة متأخرة نسبياً. ويعود السبب الرئيسي في نشوء هذه الصورة إلى البابا Gregory في القرن السادس الميلادي.

وقد أصدرت الكنيسة في وقت متأخر جداً، في عام ١٩٩٦ بياناً أبطلت فيه تعريف البابا Gregory للمجدلية كعاهرة.

وبحسب الأناجيل غير المحرفة (المقصود هنا غير الرسمية) لم يكن بطرس هو التلميذ الذي أعطاه المسيح تعليمات تتضمن

مكتبة الفكر الجديد

كيفية تأسيس الكنيسة، بل كانت مريم المجدلية. وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن المسيح كان نصير المرأة. ولعله كان كذلك. لكننا قرأنا في مراجع أخرى كلاماً جاء فيه أن المسيح كان على مذهب أبناء جيله الذين يؤمنون بأن المرأة الصالحة، أو لكي تكون صالحة، هي من ترقى إلى مستوى الرجل. وعلى أية حال، نحن لم نعد نعلم الصحيح من غير الصحيح من هذه الأحكام التي تنسب إلى المسيح.

نقرأ مثلاً، وقد تكرر هذا مراراً: قال بطرس: «هل قام المخلّص بالتحدث مع امرأة دون علمنا؟ هل سينصرف عنا وهل سنضطر جميعاً للانصياع لأوامرها؟ هل فضّلها علينا؟»

وأجابه ليفي: «بطرس، لقد كنت دائماً حاد الطباع. وأرى الآن أنك تعارضها وكأنك خصمها. إذا كان المخلّص قد جعلها شخصاً مهماً، فمن أنت لترفضها؟ من المؤكد أن المخلص يعرفها حق المعرفة. لذلك هو يحبها أكثر منا.»

مكتبة الفكر الجديد

وقائع تاريخية

سنة ١٦٨ أو ١٦٧ ق.م. : الثورة اليهودية.

سنة ١٥٣- ٦٣ ق.م. : دولة يهودية مستقلة تحت حكم الكهنة المكابيين.

سنة ٦٣ ق.م. : الجنرال الروماني Pompey يغزو فلسطين.

سنة ٤٠ ق.م. : هيرود الكبير يعين ملكاً على اليهود من قبل الرومان.

سنة ٣١ ق.م. : هزيمة أنتوني وكليوبترا في المعركة البحرية في أكتيوم.

سنة ٣٠ ق.م. : أوغسطوس يصبح أول إمبراطور روماني.

حوالي ٤ ق.م. : ولادة المسيح.

سنة ٤ ق.م. : موت هيرود الكبير. تقسم مملكته إلى أربعة، وابنه هيرود أنتيپاس يصبح حاكم (الجزء الرابع) من الإمبراطورية الرومانية، وحاكم Peraea.

سنة ١٤ م: موت الإمبراطور أوغسطوس.

حوالي سنة ٣٣ م: صلب المسيح .

سنة ٤٠ م: هداية بولص (اعتناقه المسيحية).

مكتبة الفكر الجديد

سنة ٤٩ م: أول مؤتمر مسيحي في أورشليم: يقرر المسيحيون قبول الآخرين (بمعنى غير اليهود) في كنيستهم.

سنة ٦١ م: نيرون يصبح إمبراطوراً.

من سنة ٦٠- ١٠٠ م: تكتب ثلاثة أناجيل - أولها إنجيل مرقس.

سنة ٦٤ م: الحريق الكبير في روما - نيرون يضطهد المسيحيين. وفاة القديس بطرس في روما شهيداً.

حوالي سنة ٦٦ م: إعدام القديس بولص في روما.

سنة ٦٦ م: بداية الثورة في فلسطين - التمرد اليهودي.

سنة ٧٠ م: دمار المعبد في اورشليم.

سنة ٧٣ م: عملية انتحار جماعية لليهود الزيلوت في ماسادا.

سنة ٣١٢ م: إعتناق قسطنطين المسيحية.

مكتبة الفكر الجديد

المسيـح

سيبدو لنا أن الكتابة عن المسيح مهمة صعبة إذا علمنا أن من بين ما يزيد على ٥٠٠ من الأقوال المنسوبة إلى المسيح، هناك في أقصى الاحتمال عشرة في المئة تعتبر من قبل الباحثين ذات مصداقية (The Templar Revelation، ص ٥١٩).

إن دارسي كتاب العهد الجديد يواجهون اليوم أزمة، لأنهم غير قادرين على الاتفاق بشأن أسئلة أساسية، مثل: هل ادعى المسيح نفسه أن يكون المسيح؟ وهل زعم أنه ابن اللّه؟ وهل زعم أنه سيكون ملكاً على اليهود؟ وهم غير قادرين كلياً على إيضاح العديد من الأشياء التي قام بها. وهم غير قادرين حتى على تقديم إيضاح مقنع لصلبه. لأنه لا وجود لما يمكن أن يكون المسيح قد صرح به أو فعله -كما جاء في الأناجيل- من شأنه أن يستفز إما القادة الدينين اليهود أو السادة الرومان إلى الدرجة التي اقتضت قتله.

إن هوية المسيح تبقى مسألة جوهرية. كثير من الباحثين يعتبرونه يهودياً. أما أنا وآخرون فلا نعتبره كذلك. وهذا الكلام يسري على يوحنا المعمدان أيضاً. جاء في كتاب The Templar Revelation لمؤلفَيه Lynn Picknett و Clive Prince :

«كنا منذهلَين بصفة خاصة حين اكتشفنا أنه كان هناك ادلة سكولاستيكية وافرة عن لايهودية المسيح.» (ص ٤٧٦-٤٧٧)
أما بشأن يوحنا المعمدان فكان يعظ غير اليهود وتهجَّم على عبارة معبد أورشليم - أساس الديانة اليهودية. وكانت له صلات قوية مع الاسكندرية - ومما له دلالة أيضاً أن خليفته كان غير يهودي أيضاً. كل هذه تعني أن يوحنا نفسه لم يكن يهودياً، وأنه كان على تماس مع الثقافة المصرية.

إن أطروحتي عن المسيحية هي أنها ليست امتداداً للديانة اليهودية. إن الأبوة اليهودية للمسيحية خرافة مصطنعة، منذ أن حاول اليهود مصادرة المسيحية، وقد أفلحوا في فرض هذه الخرافة بفضل نفوذهم الهائل. لكن المسيحية عقيدة إغريقيّة - رومانية بلا منازع.

وقد زعموا أن المسيح/يشوع كان ابناً لاتحاد غير شرعي بين أمه مريم، أو ماري، وجندي روماني يدعى Pandera، أو Pantera، أو Panthera. إن شائعة كهذه، فيما إذا كانت حقيقة أم لا، كانت على الأقل مبكرة في أصلها فهي لا جدال فيها لأن الكاتب المسيحي Origen يقول إنه سمع عنها من الفيلسوف الوثني Celsus من أبناء القرن الثاني. و Celsus من جهته زعم أنه سمع بها من يهودي، لذلك يمكن القول إن القصة كانت شائعة في حدود ١٥٠م. أما الكتّاب المسيحيون فكانوا يميلون إلى رفض هذه القصة كشيء ماكر، بزعم ان (Panthera) قد تكون تحريفاً لـ (parthenos) أو عذراء. ومن المثير للفضول أن تفسيرهم قد يلتقي مع ما تم اكتشافه في Bingerbrück في ألمانيا

عن بلاطة عائدة لرامي سهام روماني من صيدا في فينيقيا يدعى تيبريوس جوليوس أبديس Panthera. ومما يكسب هذا النبأ مصداقية أن تأريخ القبر يرقى إلى المرحلة الإمبراطورية الأولى.

ومما له صلة بالموضوع، أن النسب الذي ذكر عن المسيح في إنجيل متى يشير إلى أن الأسلاف الأنثوية الأربعة هن: تامار، ورحاب، وراعوث، وبتشيبا، كلّهن كن «نساء ساقطات».

ونحن إذا طرحنا التفسير المسيحي القائل إن المسيح هو ابن اللّه، فلن يكون أمامنا سوى أن نبحث عن أب للمسيح. وبما أن المسيح لم يكن يهودياً، فنحن نعتقد أن أباه لم يكن كذلك. فمن كان أبوه؟ هل هو الجندي الروماني المذكور أعلاه؟ في كل الأحوال فإن الديانة المسيحية أقرب إلى الفكر اليوناني، فليس من المستبعد، في رأينا، أن يكون المسيح من أصل روماني. فالمسيح نتاج الحضارة الإغريقية. صنعه الرومان لتعزيز سلطانهم. وكان السكوت عن مظالمهم يخدمهم. وكانت فلسفة المسيح مسالمة ولاثورية، ومهادنة: من ضربك على خدك الأيمن، أدر له خدك الآخر. وقال المسيح أيضاً: «أحبوا أعداءكم / مباركون هم دعاة السلام / مباركون هم أصحاب الرأفة». فهل كان المحتلون الرومان يحلمون بأكثر من هذا؟

هذه الفلسفة تجعلنا نتساءل هل كان المسيح عميلاً للرومان؟

لكن ألا يتناقض هذا مع مقتله الذي لم يتم إلا بموافقة الرومان. فلنصغِ إلى قصة مقتله.

لقد تم القبض على المسيح بأمر من السنهدريم- المجمع

مكتبة الفكر الجديد

اليهودي الأعلى- وبأمر من رئيس الكهنة «قيافا». إن يهوذا الاسخريوطي، أحد تلامذة يسوع، هو الذي قام بخيانة سيده وتسليمه إلى اليهود مقابل ثلاثين من الفضة. واتفق معهم على أن الذي سيقبّله سيكون يسوع الناصري. لكن يهوذا ندم لاحقاً على فعلته، وقام بشنق نفسه، على ما قيل.

في صباح اليوم التالي، يوم الجمعة، أرسل رئيس الكهنة يسوع إلى الحاكم الروماني بلاطيس البنطي ليحكم عليه، لأنه لم يكن يحق للمحاكم اليهودية تنفيذ حكم الموت بحق أحد من دون الرجوع إلى الرومان.

إن النشاط السياسي الوحيد الذي قام به المسيح جاء في خدمة الرومان، وكان هذا إطعام خمسة آلاف شخص. الإنجيل يعتبرها نزهة سحرية، حيث يُدهش صاحبها الناس بمضاعفة مجرد خمسة أرغفة من الشعير وسمكتين صغيرتين لتطعمهم جميعاً. إن اهمية هذا الحدث تكمن في قدرة المسيح على أن يجعل هذه الآلاف الخمسة الثائرة تجلس. وهذا حدث بعد قطع رأس يوحنا المعمدان. فقد كان موت يوحنا حدثاً مهماً بالنسبة إلى المسيح، لكي يصبح قائد المجموعة. وهناك العديد من الأسئلة التي تبقى معلقة حول قصة اعتقال يوحنا المعمدان. ويبدو هنا وكأن الأناجيل تخفي عنا شيئاً حول هذا الموضوع. فهي -الأناجيل- اعتبرت مقتل يوحنا المعمدان شيئاً شخصياً، مع أن ابعاده سياسية. إنها تزعم أن اعتقال يوحنا المعمدان يعود إلى أنه تكلم ضد زواج هيرود غير الشرعي من هيروديّاس (أم سالومي). هذا في حين أن المؤرخ اليهودي المعاصر

للأحداث، يوسفوس، يروي حدث الاعتقال بأنه يعود إلى أن يوحنا اعتُقل لأنه كان يُنظر إليه إما كتهديد حقيقي أو محتمل لحكم هيرود. يوسفوس لا يقدم تفاصيل في روايته عن موت المعمدان أو عن طريقه إعدامه. واستناداً إلى الأناجيل فإن هيرود خُدع في لجوئه إلى قتل يوحنا. لقد خدعته هيروديا بتحريض من ابنتها سالومي.

هناك الكثير من التساؤلات حول مقتل يوحنا. نحن نعلم أن سالومي، بإيعاز من أمها هيروديا، تطلب من هيرود رأس يوحنا المعمدان، فيستجيب، ولكن ببرود. هذا سيناريو يتعذر هضمه، في ضوء شعبية يوحنا. فهيرود لا يمكن أن يكون أحمق إلى درجة قتله من أجل نزوة سخيفة. قد يكون يوحنا المعمدان تهديداً وهو حي، لكنه يمكن أن يصبح أكثر خطورة كشهيد. وعلى أية حال، فإن ما حدث هو ما قرأناه في الأناجيل، وهي رواية هزيلة. لكننا لا نملك إلا أن نتقبلها. لكن الغريب في الأمر أن هذا الحدث لم يتمخض عن عصيان مدني، أو انتفاضة. غير أن يوسفوس يحدثنا عن هزيمة جيش هيرود بعد ذلك مباشرة، وهو ما دعا الناس إلى الاعتقاد بأن ذلك كان انتقاماً ربانياً لموت يوحنا.

والمهم أن تململاً لم يحدث. على العكس من ذلك، إن أي توتر أخمده المسيح، الذي أشرف فوراً على إطعام الآلاف الخمسة. فهل أسكت الجماهير؟ هل عمد إلى إرضائهم بشأن موت محبوبهم يوحنا المعمدان؟ لعله فعل ذلك، بيد أن الأناجيل لا تشير إلى ذلك.

مكتبة الفكر الجديد

وهكذا فإن معالجة كتبة الإنجيل لموت يوحنا لم تكن مقنعة. على أية حال هم اعتبروها مكيدة خسيسة من مكائد القصر: هيرود مقتنع بإرسال يوحنا إلى السجن، لكنه خُدع في اللجوء إلى قتله. لكن من جهة أخرى هم حاولوا تبييض صفحة هيرود الذي كان ضحية تدابير نسائية في تنفيذ هذا العمل الشنيع. لا بد والحالة هذه أن القصر حاك هذه المؤامرة . لكن كتبة الإنجيل نقلوا إلينا قصة مرتبكة حول موضوع في أشد الخطورة.

إن هيرود أنتيپاس لم يستفد بأي شكل من موت يوحنا. وموت يوحنا عقَّد الوضع أكثر بالنسبة إليه. فمن كان المستفيد من موت يوحنا؟ استناداً إلى اللاهوتية الاسترالية باربرا ثيرنغ، كانت هناك شائعات تدور في تلك الأيام تفيد بأن زمرة المسيح كانت هي الملومة. مع أن هذه تبدو صادمة، إلا أن أية مجموعة أخرى لم تكن المستفيدة أكثر من إزاحة يوحنا المعمدان. لهذا السبب وحده، فإن جماعة المسيح لا ينبغي اهمالهم، إذا دخل في روعنا ان موت يوحنا كان جريمة حيكت ببراعة. ونحن نرى هنا أن الهراطقة يوجهون إصبع الاتهام إلى المسيح. وهذا دعا المندائيين إلى اتخاذ موقف مناوئ تجاهه. والأسباب تعود إلى الظروف المحيطة بموت يوحنا.

ومع أن هذا الحدث هو من بين أكثر أخبار الإنجيل أهمية، إلا أننا لا نعرف سوى اسم ابنة هيروديياس - سالومي- وذلك بفضل يوسفوس. لقد تحاشى كتبة الإنجيل بعناية ذكرها بالمرة، مع أنهم ذكروا أسماء كل اللاعبين الآخرين. فهل كانوا عامدين إلى إخفاء اسمها؟

مكتبة الفكر الجديد

كانت لدى المسيح مريدة تدعى سالومي. ومع أنها ذُكرت كواحدة من بين النساء اللواتي كن واقفات تحت الصليب وذهبت مع المجدلية إلى القبر، كما جاء في إنجيل مرقس، وفي إنجيلَي متى، ولوقا، إلا أنها اختفت بصورة غريبة.

والظاهر أن كتبة الإنجيل كانت لديهم دوافعهم الخاصة في عدم إحاطتنا علماً بأخبار سالومي. (إنها تظهر في إنجيل توما [غير المعترف به] ، وهو أحد نصوص نجع حمادي، حيث تضطجع على أريكة مع المسيح، وفي «إنجيل المصريين» المفقود تظهر أيضاً، وفي Pistis Sophia حيث تُصَوَّر كتلميذة ومريدة للمسيح). لكن سالومي كان اسماً شائعاً. وإن إزاحتها من المشهد من قبل كتّاب الإنجيل يترك انطباعاً بصرف أنظارنا إلى سالومي التي تبعت المسيح.

ويبدو أن يوحنا المعمدان أصبح محرجاً بالنسبة إلى حركة المسيح الانفصالية. فحتى عندما كان معتقلاً فهو أعرب عن شكوكه حول تلميذه السابق- المقصود بذلك المسيح- وعين شخصاً آخر - سمعان المجوسي- خلفاً له.

هذا وإن باحثين مثل Hugh Schonfield ذهبوا إلى القول إنه كانت هناك مجموعة شبحية يبدو أنهم سهلوا مهمة المسيح، ووجدوا من الضروري إبعاد المعمدان نهائياً.

ويبدو أن الجماعة التي تسند المسيح كانت ثرية وذات نفوذ، فقد كانت لها صلات مع قصر هيرود. فحتى أتباع المسيح المباشرين كانت لديهم صلة داخل القصر: الأناجيل تذكر تلميذته حنا زوجة وكيل هيرود.

مكتبة الفكر الجديد

ومهما يكن من أمر، كان هناك خلل في العلاقة بين المعمدان والمسيح، كما ظل الهراطقة يؤمنون به على مدى قرون، وبدأ الباحثون بالاعتراف به. وإنه ليمكن القول إن تحفظ الهراطقة على المسيح يمكن إرجاعه إلى الاعتقاد بأنه كان نفعياً يفتقر إلى النزاهة، استخدم موت يوحنا لمصلحته الخاصة.

ولا ننسى أن المندائيين اعتبروا يوحنا (ملك النور)، في حين هم يحطون من قدر المسيح كنبي كاذب ضلل الناس.

هل بُني التأريخ على حقائق زائفة؟ ربما، لكن هذا لم يعد يجدي شيئاً بعد أن ترسخت الأشياء كما تلقيناها.

لم أكن أريد أن أتوصل إلى نتائج مخيبة للآمال. فأنا أنظر إلى المسيح كشخصية نبيلة، وسأبقى أنظر إليه كذلك. لكن المسيح من جهة أخرى إنسان، والإنسان لا يرقى إلى «الآلهة». فهو يتصرف كالبشر، كأن يصعد على كتف أستاذه، ليبني مجده على حسابه. أو لعل ذلك كان وفق اجتهاد حوارييه، لاسيما بطرس وبولص.

المسيح كما وصل إلينا شخصية نادرة المثال وغريبة الأطوار. فالصورة المرسومة عنه في الأناجيل تجعله شخصاً ذا قدرات قيادية هائلة. أنا لا أشير إلى الأعمال الخارقة في إبراء المرضى والمعوقين التي تنسب إليه في الأناجيل، بل إلى أقواله المذهلة في قوة تأثيرها. إن بعضها ينطق بالهجر ويخالف منطق الأشياء، لكنه ينطوي على قوة إرادة لا يتمتع بها سوى مجنون أو كائن يملك ثقة هائلة بنفسه. لنصغِ إلى كلماته الآتية:

مكتبة الفكر الجديد

«إذا جاءني أيٌّ منكم، وهو لم يكره أباه، وأمه، وزوجته، وأبناءه، وإخوته، وأخواته، وحياته الخاصة، فلن يكون في وسعه أن يصبح تلميذي».

هذا كلام مجانين. هو يطلب من أتباعه أن يزدروا حياتهم، لكنه يطلب منهم في الوقت نفسه أن يحبوا جيرانهم كما يحبون أنفسهم.

لكن المسيح بشّر بمبدأ الحب، وهذا استلمه من الإلهة المصرية إيزيس. فنحن سنظل نبجله لنزعته هذه.

أنا أعتقد أن ثلاثة لعبوا دوراً في صناعة المسيح، هم إيزيس؛ ويوحنا المعمدان؛ ومريم المجدلية. كما أن بطرس وبولص كان لهما دور أساسي في بناء المسيحية.

إيزيس: أنا الأم الجبارة إيزيس، أكبر قوة على وجه الأرض. أنا تلك التي لا تقاتل، لكنها المنتصرة على الدوام. أنا ذات الجمال الدائم التي كان الرجال يبحثون عنها بلا انقطاع. إن الطرق التي توصل إلى قلعتي محفوفة بالمخاطر والأوهام... أنا أرتفع إلى الأعلى وأسحب الرجال إليّ. أنا رغبة العالم، لكن قلائل من يستطيعون العثور عليّ. عندما ينكشف سري، فهو سر الكأس المقدسة.

لقد وهبت قلبي إلى العالم، تلك هي قوتي. الحب هو أم الرجل - اللّه، تعطي جوهر الحياة لإنقاذ البشرية من الدمار، ولتشق الطريق إلى الحياة الأبدية. الحب هو أم روح المسيح.

مكتبة الفكر الجديد

وهذا المسيح هو أسمى الحب. المسيح هو قلب الحب، قلب الأم العظمى إيزيس، إيزيس الطبيعة. إنه تعبير عن قوتها. هي الكأس المقدسة، وهو دم الحياة للروح الموجودة في الكأس.

كانت إيزيس تعتبر الخالقة. «في البدء كانت إيزيس، أقدم من القديم. كانت الإلهة التي وجدت منها كل الكائنات». وقالوا عنها «أنت خالقة كل الأشياء الجيدة» وأكثر من ذلك، إن إيزيس وليس أوزيريس كانت المنقذة الأصلية، وكما قال اريستيديس، ملقنة أسرارها. كنور وأشياء أخرى لا يمكن النطق بها تفضي إلى الخلاص. وخاطبها لوسيوس أبوليوس هكذا: «آه أيتها المقدسة، المنقذة الأبدية للجنس البشري... أنت وهبت النور للشمس... وأنت دست على الموت بقدمك».

إن تأثير عبادة إيزيس على المسيحية يمكن تلمسه في الأناجيل القانونية. على سبيل المثال، إن واحداً من بين أشهر أقوال المسيح هو «هلموا إليّ أيها المثقلون بالأعباء، فلسوف أنعشكم». لأنها تعد بالطمأنينة، والحب في خضم صراعات الحياة. فإنها توجد غالباً على لافتات خارج الكنائس، وتسبقها عبارة «قال المسيح». في الواقع إن هذه العبارة -كلمة بكلمة- أخذت بالكامل من أقوال إيزيس. ولا تزال تشاهد مدونة فوق الباب لمعبد كرس لها في ديندرا. وعلى أية حال، إن الحب المفعم به في هذه الجملة هو في الحق حب أم.

وإذا كان يسوع ومريم المجدلية ملقنين بأسرار إيزيس وأوزيريس، فلا بد ان «المسيحية» تكون مختلفة جداً عن الدين البطرياركي الذي يخاف اللّه الذي أصبحته. وإن خلفيتهما الوثنية

الأساسية لا بد أن تلقي بعض الضوء على بعض أحاجي كتاب العهد الجديد.

هناك قراءات مختلفة عن حياة المسيح. والقراءة السابقة إحداها. وأنا اطلعت على بعض هذه القراءات، فوجدتها لا تقدم صورة جميلة عنه.

كانت قراءاتي السابقة مزيجاً من قراءات. وأنا لم أتحدث بعد كفاية عن المسيح، ولا عن يوحنا المعمدان. ولا بد لي أن أشير على نحو خاص إلى الكتاب الذي كان لي مرجعاً أساسياً، هو The Templar Revelation لمؤلفَيه Lynn Picknett و Clive Prince هذا الكتاب كان أفضل المراجع التي قرأتها، بالرغم من أن لدي بعض الملاحظات عليه. لكن الشيء المهم فيه هو أنه يؤكد لايهودية المسيح، ويركز على الجذور المصرية للديانة المسيحية؛ وعلى دور يوحنا المعمدان الكبير في صنع المسيح؛ وعلى دور مريم المجدلية في القضية المسيحية.

لكنني أود أن أشير أيضاً إلى كتب أخرى كانت لي مراجع مهمة أيضاً في مضامينها (السلبية والإيجابية). من بين هذه الكتب، كتاب JESUS: The Evidence لمؤلفه Ian Wilson، وهو من إصدارات القناة الرابعة التلفزيونية البريطانية. هذا الكتاب هو الوحيد الذي يرد فيه خبر أبوة المسيح، أي إنه كان على حد ما جاء فيه ابناً غير شرعي من أب جندي روماني ومريم (غير العذراء). لكن هذا الكتاب، مثل بقية الكتب، باستثناء ما ذكرته أعلاه، يصر على يهودية المسيح، مع أن المسيح كان ابن خالة يوحنا المعمدان الذي لم يكن يهودياً.

وقبل أن أنتقل إلى العلاقة بين المسيح ويوحنا المعمدان، سأتوقف عند قراءة اخرى عن المسيح في كتاب Hiram Key لمؤلفَيه Christopher Knight و Robert Lomas.

هذه دراسة غنية جداً في معلوماتها وفي أفكارها، لكنها مؤدلجة ومنحازة لأن مؤلفَيها ماسونيان إلى حد إيمانهما بأن المسيح كان ماسونياً.

جاء في مقدمة الفصل الأول لكتاب (Hiram Key): ذلك أن الماسونية الحرة ترقى إلى ما قبل الطوفان؛ ذلك أنها مجرد صناعة البارحة؛ ذلك أنها ليست سوى تبرير للمرح؛ ذلك أنها مدمرة الروح، منظمة إلحادية؛ ذلك أنها مؤسسة خيرية، تفعل الخير تحت غطاء السرية السخيف؛ ذلك أنها ماكنة سياسية بقدرات هائلة؛ ذلك أنها خالية من الأسرار؛ ذلك أن مريديها يُلحون في السر بأعظم صنوف المعرفة الممنوحة للبشرية؛ ذلك أنهم يحتفلون بطقوسهم الغريبة تحت رعاية ووصاية مفستوفيليس؛ ذلك أن أعمالهم بريئة كل البراءة، ولا نقول غاية في الغباء؛ ذلك أنهم يقترفون كل الجرائم التي لا تمتّ بصلة إلى أي شخص آخر؛ ذلك أنهم يحيون فقط لأجل تشجيع الأخوّة والخير. تلك هي بعض المزاعم التي يدعي بها المثرثرون خارج دائرة الإخوة الأحرار، والمعترف بهم. إن أقل ما يعرفه المرء عن الماسونية الحرة هو أكثر مما يأخذه منهم.

عن جريدة ديلي تلغراف لندن ١٨٧١

الماسونية تعير وزناً كبيراً لتشجيع المستوى العالي

للأخلاقية بين أعضائها. لكن من المستغرب جداً أن نجد مجتمعاً يستعمل مصافحات سرية، وإشارات ملغمة للتعارف المتبادل بين أعضائها مما يورث انطباعاً غير مستحب، لماذا هذه الأساليب، إن لم تكن تخفي الحقيقة. لَمَ الإخفاء، إذا لم يكن هناك داع للإخفاء؟

أولئك الذين هم خارج الماسونية يعتبرون الحكاية كلها عن إظهار الشيء بصورة حسنة، وتلاوة النصوص المُعدة للنخبة وأداء طقوس غريبة وسخيفة إلى حد التصور أنه يمكن أن يكون لها بريق. ربما لا وجود لمثل هذا الشيء... لكن الشيء الآخر (بمعنى السلبي) هو من الصعوبة دائماً البرهنة عليه.

الديلي تلغراف لندن ١٩٩٥

وسأذكر بعضاً من محتويات هذا الكتاب، ثم أنتقل إلى تعامله مع المسيح:

١- أسرار الماسونية الحرة المفقودة.

٢- البحث يبدأ

من أين بدأت المنظمة

معبد الملك سليمان

٣- فرسان الهيكل

بداية الأخوية (ordes)

عن ماذا كانوا يبحثون

نظام الأخوية

ختم الأخوية

تنظيم الأخوية
٤- الرابط الغنوصي
الرقابة المسيحية الأولى
الأناجيل الغنوصية
البحث الغنوصي
٥- عيسى المسيح: رجل، إله، أسطورة، أم ماسوني حر؟
ولادة أخرى من عذراء
الأدلة الدامغة لأوراق البحر الميت
عائلة المسيح
ولادة دين جديد
الحقيقة بين الهرطقات
رابطة حقيقية بين المسيح وفرسان الهيكل
نجمة المندائيين
نجمة أميركا
٦- في البدء صنع اللّه الإنسان
جنة عدن
مدن سومر
أور، مدينة إبراهيم
شخصية إبراهيم، اليهودي الأول
٧- تراث المصريين
بداية مصر
استقرار البلادين
البرهنة على ما لا يبرهن

الدليل الصامت

نجمة الصباح تشع ثانية

٨- الماسونيون الأحرار الأوائل

اكتشاف هيرام ابيض

انهيار الدولة المصرية

ملوك الهكسوس

فقدان الأسرار الأصلية

دليل الكتاب المقدس

اغتيال هيرام ابيض

قتلة هيرام ابيض

الدليل المادي

الدليل الماسوني

٩- مولد اليهودية

موسى مؤسس القوانين

إله الحرب لجبال سيناء

الجدران تنهار

زمن الخروج Exodos

داود وسليمان

القائمة طويلة نسبياً، وسأختار بعض العناوين:

١٢- الرجل الذي حوّل الماء إلى نبيذ

السباق ضد الزمن

الطريق الجديد إلى مملكة الرب

اعتقال الدعامة الملكية
المحاكمة والصلب
رموز المسيح ويعقوب (أخيه)
ظهور الكذاب (المقصود به القديس بولص)

لا أنكر أن هذه القراءة كانت غنية جداً في معلوماتها. لكننا لا ننسى ان هذه القراءة ماسونية حتى النخاع. وهي إلى ذلك تريد أن تصادر الديانة المسيحية، وتجعلها ربيبة الديانة اليهودية، لو كان ذلك في مقدورها. ذلك أن الواقع خذل هذه القراءة، لأن العنصر الإغريقي انتصر على العنصر اليهودي. ولعل القديس بولص هو الذي لعب دوراً كبيراً في استقلالية المسيحية عن التبعية اليهودية. ومن بين تعاليمه أو طقوسه، أنه رفض الختان، وهذا نأي واضح عن التقليد اليهودي.

ونقرأ رأياً عن المدرستين في المسيحية في هذه القراءة، إحداهما تعتبر المسيح من أتباع وأنصار المدرسة القديمة، بمعنى تبنّي الخط اليهودي، لكن مدرسته هذه لم يكتب لها النجاح. أما انا فلست أعتقد أن المسيح كان من أتباع النهج القديم، أو المدرسة «اليهودية»، لأن المسيح لم يكن يهودياً أصلاً.

لنقرأ ما جاء في كتاب Hiram Key حول هاتين المدرستين:

«إنها لحقيقة لا يرقى إليها الشك هي أن المسيحية كانت عبادة يهودية وأن كل «عناصرها الأصلية» (المسيح، يعقوب

(أخيه)، سمعان بطرس، أندرو، يهودا، توما، الخ.) كانوا أناساً يفكرون في لغة المدراش، والفلسفة اليهودية. على النقيض من ذلك، فإن من ندعوهم «بالطائفة الثانية» (بولص، متى، لوقا، الخ.) كانوا مختلفين واستعملوا مزيداً من الفكر الهيليني [الإغريقي] مما هو أقرب إلى الطريقة التي نفكر فيها اليوم. إن أناجيل العهد الجديد كانت قد كتبت بصورة مؤكدة تقريباً بعد دمار أورشليم وجماعة قمران وموت «الطائفة الاولى». هذه الكتابات وضعت لجمهور ذي تفكير إغريقي...»

في كل الاحوال أنا أعتبر أن المسيح وبولص هما مؤسسا المسيحية التي انتهجت الفكر الإغريقي.

أعود إلى كتاب Hiram Key الذي يحاول فرض النزعة الماسونية على المسيح بغير وجه حق. بل إن هذا الكتاب أساء إلى المسيح كثيراً وقدم لنا صورة قبيحة عنه.

في الكتاب السري ليعقوب، الذي يُعتقد أنه كُتب من قبل يعقوب أخ المسيح بعد الصلب، يرد كلام للمسيح يشرح فيه كيف يتعيّن على أتباعه أن يفهموا تعاليمه:

«أصغوا إلى الكلمة. تعلّموا المعرفة. أحبوا الحياة. ولن يكون في وسع أحد ليضطهدكم، ولن يجور عليكم أحد، باستثناء أنفسكم.»

اعتقال المسيح:

أدرك المسيح أن الزمن والدهاء كانا جوهر المسألة. كان يريد أن يشن ثورة ضد الرومان والصدوقيين (سادة اليهود) في أورشليم، ويجند أكبر قدر ممكن من الجماهير. لكن هذا ينبغي أن يتم بدون إشعار العدو بقوة الحركة، لذلك اجتمع المسيح وأتباعه في السر.

من جهة أخرى كان المسيح يريد أن يُظهر قوة في العاصمة ليؤكد أنه لم يكن يتردد في تحدّي السلطات وليعلن عن حقه في عرش فلسطين. فأعدت خطة حذرة ليؤكد لجمهور أورشليم أنه هو الملك الذي سيثور لإنقاذهم من الهيمنة الأجنبية، كما تنبأ بذلك الأنبياء. وكان دخوله أورشليم ممتطياً ظهر حمار صغير عملاً مدبراً ليحقق بذلك نبوءة زكريا لكي يرى الناس:

«. . . مليكهم يأتي إليهم: إنه عادل، وفي وسعه إنقاذهم، ممتطياً حماراً . . .».

لكي يكون المسيح على ثقة من أنه حظي بشعبية عالية، ذهب إلى المعبد وأحدث ضجة بقلب موائد التجار والصرافين الذين أساءوا إلى البناية المقدسة. وراح يركل الموائد فيما رمى أتباعه المقاعد على الأرض. فاختفت الناس مرعوبة ، فيما راح المسيح يلعن التصرف المخالف لإرادة اللّه ثم مضى إلى بيت عنيا، الذي يبعد زهاء ميلين إلى الشرق من المدينة. فساد الاعتقاد بأن المهمة كانت موفقة جداً، لكنها في الواقع كانت بداية النهاية. فمنذ تلك اللحظة قررت السلطات الرومانية

واليهودية أن تعمد إلى إنهاء المتاعب التي تظهر في قمران قبل أن تستفحل وتصعب السيطرة عليها.

واعتُقل يعقوب (أخو المسيح)، ونُشر إعلان عن المسيح، فيه أوصاف شخصية للرجل. لكن كل النسخ والمراجع عن هذا الإجراء تم تدميرها منذ زمن. لأن إعطاء وصف عن إله غير كامل الأوصاف لن يكون له وقع بالنسبة إلى كنيسة ناشئة. لكن هذا الحدث تم تسجيله من قبل يوسفوس في كتابه (السيطرة على أورشليم)، وقد استقى يوسفوس معلوماته مباشرة من «الفورمة» الصادرة عن پونتيوس بلاطس. كانت هذه الوثيقة التي دونت مواصفات الرجل المطلوب، حيث تم الاحتفاظ بنسخة منها في روما. وفي كتاب العهد الجديد جاء أن مذكرة قد صدرت لاعتقال الرجل الذي يزعم أنه ملك اليهود، وأن يهودا (الاسخريوطي) هو الذي خان سيده.

وزُعم في كتاب The Hiram Key أن نسخة من أوصاف يوسفوس وصلت إلى ما يسمى بالنصوص السلافونية وظهرت إلى الوجود في القرن التاسع عشر. آه، إن المصادر الأخرى، ربما عدا هذا الكتاب الماسوني، لا تشير إلى هذا الخبر، في حدود علمي. لكن ماذا كانت أوصاف المسيح في هذه المذكرة؟ إنها شيء لا يشرفه ولا يشرف أي مسيحي، لأنها تقدم أقبح صورة عن المسيح الذي اعتدنا أن نتصوره كامل الأوصاف.

«... رجل ذو مظهر بسيط في مقتبل العمر، ذو بشرة داكنة، وقامة قصيرة، ثلاث أذرعة في طوله، أحدب مع وجه

مكتبة الفكر الجديد

طويل، وأنف طويل، وحاجبين ملتقيين، إلى حد أن من يشاهده يعتريه الخوف، مع شعر خفيف ذي فرق في وسط رأسه، على طريقة أبناء الناصرة، ومع لحية خفيفة.»

أنا أشك في نسبة هذا الكلام إلى يوسفوس المؤرخ اليهودي الذي عاش بضعة عقود من السنين بعد موت المسيح، وهو لم يتطرق إلى ذكر المسيح في كتاباته. فكيف يتحدث عنه بهذا الشكل «العارف» في نص زُعم أنه يعود إليه - أي يوسفوس - ولم يُكتشف وربما يُختلق إلا في القرن التاسع عشر.

هذه قراءة متحاملة ولا تستند إلا إلى مرجع مشكوك فيه، وأمامنا الآن قراءات أخرى، من بينها قراءة الكتاب المقدس، لكن هذه لا يمكن اعتمادها، لأنها انتقائية، انتُقيت من بين عشرات القراءات الأخرى، بعد أن رفضت خمسون قراءة أخرى.

وتحت متناول يدي قراءتان أخريان، تطرقت إليهما سابقاً، إحداهما تعتبر المسيح ابناً غير شرعي من أب جندي روماني ومريم. وأنا لا أرفض هذه القراءة، بل أعتبرها محتملة.

وهناك قراءة أخرى تعتبر المسيح نتاج الفكر المصري، ومن أتباع فلسفة إيزيس وأوزيريس. وأنا لا أرفض هذه القراءة ايضاً.

فمن كان المسيح؟

مكتبة الفكر الجديد

يوحنا المعمدان

من بين أكثر الشخصيات التأريخية التي لفتت اهتمامي هي شخصية يوحنا المعمدان. فهو من بين المرشحين لخداعي. فقد تراءى لي لوهلة أنه قد تكون له وشائج عربية. وتماديت في تصوراتي. فيوحنا المعمدان يمتّ بصلة قربى إلى المسيح من جهة أمه. فهل يحق لنا أن نتصور، لأجل المناقشة فقط، أن المسيح يمكن أن تكون له وشائج عربية؟ أنا أدري أنني تماديت كثيراً في واهمتي. ولكن فلنواصل هذا التمادي.

في أيام المسيح كان هناك حاكم على فلسطين عيّنه الرومان الذين كانوا قد احتلوا فلسطين. هذا الحاكم يدعى هيرود أنتيپاس. وكان يدعى هيرود العربي، وهو ينتمي إلى الذخيرة السكانية النبطية الأدومية. لهذا حمل لقب «هيرود العربي». وقد ورث الديانة اليهودية عن أبيه الذي تهوّد لأغراض سياسية تتعلق بوضعه كوزير في بلاط آخر ملك مكابي. لهذا لم ينظر هيرود إلى نفسه كيهودي، مثلما لم يعتبره اليهود واحداً منهم.

نستقي معلوماتنا عن يوحنا المعمدان من الكتاب المقدس، ومن المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي. ولد يوحنا المعمدان -وفي الموروث العربي يحيى

مكتبة الفكر الجديد

بن زكريا- في عام ٧ أو ٦ ق.م. في حبرون أو القرية التي تدعى الآن عين كارم، إلى الشمال الغربي من بيت لحم. ويُزعم أنه سكن البراري وكان واعظاً مؤثراً بين الجماهير في انتقاده السلطة اليهودية ومن ورائها الحاكمين الرومان. في الأناجيل تعطى له أهمية موازية لأهمية المسيح، منذ ولادتهما لأمَّين قريبتين بعضهما لبعض. لكن هذه الأناجيل تحاول طمس دور يوحنا بالمقارنة مع المسيح، مع أن الأول هو الذي عمّد الثاني في نهر الأردن، ما يعني أنه كان بمثابة مرشد له. وفي الواقع إن هاتين الشخصيتين، يوحنا والمسيح، كانا هما اللاعبين الرئيسيين في أحداث وسياسة تلك الفترة.

لكن أهم شخص كان له دور في تكوين المسيحية هو الحاكم الروماني هيرود أنتيپاس، المتدين بالديانة اليهودية، لكن له جذوراً نبطية، ذلك أنه بقضائه على يوحنا المعمدان مهّد السبيل للمسيح لنشر دعوته، لأن المسيح ما كان يجرؤ على النهوض بعمل قيادي ويوحنا على قيد الحياة.

والآن، نقرأ في الأناجيل أن يوحنا المعمدان اعتُقل فوراً تقريباً بعد تعميده المسيح (في نهر الأردن)، بأمر من هيرود أنتيپاس، وسُجِن. السبب الذي أعطي هو أن يوحنا أدان بالمكشوف زواج هيرود من هيروديّاس، الزوجة السابقة لأخيه غير الشقيق. لأن هذا الزواج مخالف للشريعة اليهودية. وبعد مدة غير محددة قضاها يوحنا في السجن، أعدم. وتقول القصة إن سالومي ابنة هيروديّاس من زواج سابق، رقصت لزوج أمها في عيد ميلاده. ومن شدة سروره وعدها بأي شيء تطلبه، بما

في ذلك نصف مملكته. وتحت رغبة هيروديياس، طلبت رأس يوحنا المعمدان على طبق. فاستجاب هيرود بفتور لأنه لم يستطع التراجع عن كلمته، وأمر بقطع رأس يوحنا.

هذه القصة أصبحت مادة خصبة للأعمال الفنية، رغم شناعتها. فقد ألف عنها ريكارد شتراوس أوبرا تحت اسم (سالومي)؛ وكتب عنها أوسكار وايلد مسرحية لم تعرض سوى يوم واحد.

وهي قصة تبدو غير مقنعة بحسب روايتها في الإنجيل. لكن هناك رواية أخرى في كتابات المؤرخ اليهودي يوسفوس، تبدو أكثر إقناعاً. تحدث يوسفوس عن تعميد يوحنا للجماهير، وعن وعظه، وعن شعبيته، وتأثيره على الجماهير. فأوغر صدر هيرود أنتيپاس على يوحنا. فألقى القبض عليه، وأعدمه بضربة استباقية. لكن يوسفوس لم يذكر تفاصيل سجنه وإعدامه، ولم يتطرق إلى غمز هيرود بشأن زواجه، سوى أنه مجد شعبية يوحنا الهائلة، وأضاف أنه لم يمضِ وقت طويل على إعدامه حتى تعرّض هيرود لخسارة عسكرية اعتبرتها الجماهير انتقاماً على جريمته بحق المعمدان.

ماذا نخلص من روايتَي الإنجيل ويوسفوس؟ أن رواية الإنجيل تبدو سطحية بالمقارنة مع رواية يوسفوس. فهذه الأخيرة أقرب إلى التصديق من خلال بعدها السياسي. وحتى لو ناقشنا الرواية الإنجيلية من منظورها الشخصي، فإنها ستُرحل في الأخير إلى العنصر السياسي. ففي آخر المطاف كان لترتيبات زواج هيرود أنتيپاس بُعد سياسي ظاهر، لكن ليس بسبب مَنْ

تزوج. المشكلة هنا تتعلق بمن طلق من أجل أن يلجأ إلى هذا الزواج. إن زوجته الأولى كانت أميرة من مملكة الأنباط العربية، وإن الإهانة الواضحة التي انطوت عليها هذه الزيجة تمخضت عن حرب بين المملكتين. فالأنباط كانت على حدود Peraea المنطقة التابعة إلى هيرود أنتيپاس، التي كان يوحنا يعظ فيها. لذلك فإن استنكار يوحنا الزواج وضعه في الواقع إلى جانب الملك المناوئ، أريتاس، مع الخطر الممكن إذا اصطفت الجماهير معه، فإنها ستعمد في النهاية إلى دعم أريتاس ضد أنتيپاس (هيرود).

أنا أفهم من هذا الكلام أن يوحنا المعمدان احتج على طلاق هيرود من الأميرة العربية من مملكة الأنباط. فماذا يعني اصطفافه مع الأميرة العربية، ومع الملك أريتاس؟ نحن سنبقى في العتمة لأن الأسماء هنا مكيفة بصورة لا تخدمنا على نحو واضح، مع أن بعضها قد يكون عربياً.

أنا لست معجباً بهذه القصة لكنني، بدافع سطحي، تصورت أن فيها ملمحاً عربياً، مع أن هذا لم يعد يعني عندي شيئاً. على أنني لاحظت أيضاً أن يوحنا المعمدان كان شخصية أهم وأكبر من المسيح، لكن الكنيسة همّشته مثلما همّشت شخصية مريم المجدلية.

واعترف بأنني أواجه كثيراً من الغموض حول هذا الموضوع، مما سيجعلني أتردد في مواصلة الحديث عنه. فأنا هنا أقحمت العرب في هذه القصة مع أن معلوماتي عن حضور العرب فيها شحيحة ولا يُعتد بها. فلماذا زججت نفسي في هذا

مكتبة الفكر الجديد

الموضوع؟ إنه موضوع محرج؛ وأنا لاأميل كثيراً إلى الكتابة عن أي موضوع ديني. لكنني وجدتني مستدرجاً إليه عندما أغرتني مريم المجدلية في الكتابة عنها. وفي سياق قراءاتي فوجئت حين اكتشفت أن هيرود أنتيپاس الملك الذي أعدم كلاً من المعمدان والمسيح، كان متزوجاً من أميرة عربية. وازددت فضولاً عندما لاحظت أن يوحنا المعمدان تعرّض للاعتقال ثم الإعدام بسبب دفاعه عن هذه الأميرة العربية التي أغمط حقها. وتراءى لي أن هناك جواً عربياً يكتنف هذه القصة؛ وأنني لاحظت أن يوحنا المعمدان يمكن أن تكون له وشائج عربية. ولمّا كان المسيح ابن خالة يوحنا، فليس من المستبعد أن تكون له وشائج عربية أيضاً. وعلى أية حال إن هذا الموضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسة.

كان ذلك نزوة. فيوحنا المعمدان كان آرامياً، وكذلك كان المسيح. كلماته التي قالها في النزع الأخير على الصليب كانت آرامية: «إلهي، إلهي، ليما شبقتني»، أي لماذا تخليت عني.

لكن يوحنا المعمدان كان شخصية غامضة. وهو كان ثائراً لكن بلا هدف واضح. فهو لم يدعُ نفسه مسيحاً. وحتى أقرب الناس إليه، المندائيون، لم يعتبروه مسيحاً. كانو يعتبرونه «ملك النور». والمعروف أن المندائيين هم أصحاب مبدأ التعميد، مثلما كان يوحنا المعمدان. لكن أحداً لا يعلم من أين جاءهم التعميد، ومن أين جاء يوحنا.

في تلك المرحلة، مرحلة ظهور يوحنا المعمدان؛ والمسيح؛ وجماعة قمران الذين انتبذوا منطقة البحر الميت، والأسينيين؛ طبعاً إلى جانب اليهود الذين بقوا أمة عظيمة، لكنها

مكتبة الفكر الجديد

«نخبوية» وليست ذات نزعة «عالمية». لذلك كانت هناك حاجة إلى دين غير منغلق على نفسه كاليهودية، دين منفتح، هو المسيحية. وما الانفتاح سوى امتداد للفلسفة الإغريقية العظيمة، على الرغم من أن المسيحية كانت ديناً معقداً، ويصعب هضمه، لا سيما إيمانه بفكرة الثالوث، أي الأب، والابن، والروح القدس.

«وسمع عن أخباره الملك هيرود (ذلك أن اسمه بدأ ينتشر في الخارج) وقال: إن يوحنا المعمدان ابتُعث من الموت، لذلك يُتوقع أن تندَّ عنه أعمال جسام.»

هذه الكلمات كانت دائماً مصدر حيرة. ماذا كان هيرود يعني بها - أن المسيح كان في إطار ما يوحنا مُبتعثاً؟ هذا مع أن هذا كان يصعب تصوره، لأن كلاً من يوحنا والمسيح كان حياً في الوقت نفسه.

هل كان القديس مرقس، ناقل الخبر، مخطئاً أو «محششاً»! نحن في كل الأحوال سنتوصل إلى نتيجة تخدمنا، هي أن هيرود أنتيپاس كان يعتبر يوحنا المعمدان هو صانع المسيح. وهذا ما تذهب إليه كل الدراسات والاجتهادات، بما فيها، طبعاً، ما يدعى بالكتب والأناجيل الهرطقية.

بعد سقوط أورشليم في ٧٠ ميلادية، بدأت العقيدة الجديدة التي تدعى المسيحية بالانفصال عن جذورها اليهودية. وأخذ رئيسها المدعو Yehoshua (يسوع) يندمج في الأساطير الأجنبية. وأخذت الحكايات الوطنية القديمة تتجمع في حكاية

مكتبة الفكر الجديد

عن الرجل الذي حاول أن يكون الملك المخلص لشعبه. وفي روما أعيدت حكاية أسطورة Romulus and Remus مع إلهين جديدين أقل شأناً، هما القديسان العظيمان بطرس و بولص، وأن إله الشمس Sol كان له مولد في ٢٥ ديسمبر، وتم الاعتقاد بأن هذا التاريخ يمكن أن يكون ملائماً لميلاد المسيح. وأصبحت المسيحية عبادة طقوس بدل الأفكار، وتراجع اللاهوت خلف السلطة السياسية. قد قدمت المسيحية لروما ميكانيزم تأسيس قوة سياسية لم يكن لها مثيل تستند إلى جماهير متخلفة ستمنح حياة أفضل بعد الموت إذا قامت بالواجبات الكنسية. لقد عبر توماس هوبز الفيلسوف والمفكر السياسي في القرن السابع عشر عن الوضع بوضوح في قوله: «ليست الپاپوية تختلف عن شبح الإمبراطور الروماني الراحل».

ولربما كان أكثر الأحداث أهمية في خلق ما يدعى بالكنيسة ما حدث في تركيا في العشرين من أيار سنة ٣٢٥ م. كان هذا مؤتمر نيقايا، الذي انعقد بقرار من الإمبراطور قسطنطين لتماسك إمبراطوريته المتداعية. وقد صادر بذلك المسيحية أيضاً، وجعل منها ديناً للحاكمين بقدر ما هو دين الجماهير.

لكن القضية المركزية في الديانة المسيحية هي طبيعة المسيح. هل كان رجلاً أم إلهاً. ولعل أضعف ما جاءت به المسيحية هو مسألة الأب والابن. إنها فكرة هزيلة. وهذا أبعد المسيحية عن أن تكون ديناً توحيدياً. إن الكيان الثلاثي في المسيحية، المتمثل في الأب، والابن، والروح القدس شيء لا يجعل المسيحية تبتعد كثيراً عن الوثنية.

مكتبة الفكر الجديد

وكان آريوس، القس من الاسكندرية، الداعية للوبي الذي يذهب إلى عدم ألوهية المسيح، كان يقول إن عيسى المسيح لا يمكن أن يكون اللّه لأنه كان إنساناً. فاللّه هو اللّه وسيكون من باب التجديف الاعتقاد بأن المسيح كان مقدساً بطبيعته، بل كان يمكن أن يكون مقدساً من خلال أعماله. وكان آريوس لاهوتياً شديد الذكاء. وقد قدم دراسات قيمة لدعم الأطروحة التي تذهب إلى أن المسيح كان إنساناً مثل أعضاء المؤتمر (مؤتمر نيقايا). لكن اسكندرانياً آخر عارضه، يدعى أثاناسيوس، الذي زعم أن الأب والابن كانا من عنصر واحد. ثم انقسم الناس بشأن قدسية المسيح، وارتُئي أن يلجأوا إلى التصويت. فخسر آريوس، وعوقب، واصبح اسمه مماثلاً للشر تحت اسم «هرطقة آريوس». وفي أيام حكم قسطنطين أصبح مصطلح الهرطقة شائعاً. وأصبحت الحقيقة هي ما ينطق به الإمبراطور، والبقية هرطقة، أو عمل شيطان. وحرمت كتب مقدسة عديدة، ووصمت بأنها غنوصية Gnostic، وأُقصيت عن عقيدة المسيحية.

ومن بين أهم الوثائق التي لم تصدر عن مؤتمر نيقايا، بل وصفت بأنها «أعطية قسطنطين»، واحدة اكتُشفت في القرن الثامن، واعتُبرت من بين وصايا قسطنطين بأن كنيسة روما ينبغي أن تكون لها سلطة مطلقة في المسائل العلمانية لأن القديس بطرس، خليفة المسيح كرئيس للكنيسة، نطق بهذه السلطة إلى أسقف روما. وأصبحت هذه معترفاً بها على النطاق العالمي لتكون تزويراً بائساً، لكن بالرغم من ذلك فإن الكنيسة

مكتبة الفكر الجديد

الكاثوليكية لا تزال متمسكة بها. . . هناك حكاية أخرى هي أن بطرس أعطى مفاتيح الجنة إلى البابا. ومن المفيد أن يشار إلى أن الأساقفة العشرة الأُوَل لكنيسة أورشليم كانوا، استناداً إلى الأب الكنسي يوسبيوس، كلهم مختونين وملتزمين بالتعاليم اليهودية. وهذا يعني أنهم لم يعتبروا موت المسيح غفراناً لخطاياهم.

ومع أن قسطنطين كان مهندس الكنيسة، إلا أنه لم يصبح مسيحياً. بل أمه هلينا كانت.

وطلبت هلينا أن تحدد مواقع كل الأماكن المقدسة، وأرسلت فرقاً من المكتشفين مع تعليمات بألا يعودوا إلا بعد أن يكتشفوا كل موقع مقدس، ابتداءً من حريق العشب لموسى وانتهاء بموقع الصليب (الذي صلب عليه المسيح).

من خلال هذه القراءات (وهي ما تزال انتقائية وناقصة) يمكن التوصل إلى أن الديانة المسيحية هي نتاج معقد ومركب من خلفيات: يهودية؛ ومصرية؛ وآرامية؛ (من ضمنها العربية: الأنباط، سلالة هيرود العربية)؛ ويونانية (من ضمنها الرومانية)؛ ولا ننسى الجذور السومرية والأكدية (إن شخصية موسى مستعارة بما لا يخفى من شخصية سركون الأكدي).

لكنني لست في صدد أن أدخل في هذه التفاصيل، فأنا لست مؤرخاً. كما أن وضعي الصحي لا يساعدني في مثل هذه المهمة. فأنا الآن كاتب مهاجر، أو راحل.

وأنا أريد أن أناقش بعض المصادر الأخيرة التي تنطوي على معلومات بشأن الشخصية اليسوعية، وبما أنني قد رجعت

إلى مصدر مهم في عملي هذا، هو كتاب The Templar Revelation، إلى جانب قراءات أخرى؛ فسأحاول الآن أن أتعامل مع قراءتين أخريين مهمتين، رغم أنني لا أؤمن بهما، هما كتاب Hiram Key؛ وكتاب Holy Blood And The Holy Grail. وسأبدأ بالأول، الذي تطرقت إلى ذكره في الصفحات السابقة.

إن ما يلفت النظر في كتاب Hiram Key هو البكاء على الحليب المراق، أعني البكاء على الجذور اليهودية في المسيحية، التي تراجع دورها أمام الجذور الهلينية، أي اليونانية. ومن هنا الهجوم الصارخ على شخصية القديس بولص الذي أضفى على المسيحية بعداً يونانياً صريحاً حررها من التبعية اليهودية ذات الأفق المحدود.

وأفرد الكتاب عدداً من الصفحات في الحديث سلباً عن بولص، فقد جاء عنه، على سبيل المثال: «لقد سمع بولص قصة الناصوريين مباشرة من شفتي يعقوب (أخ المسيح)، ولأنه كان يهودياً أجنبياً ومواطناً رومانياً فقد فشل في فهم الرسالة التي منحت له وطور على الفور فهماً هلينياً كقصة موت المسيح ودوره «كحمل للتضحية». (هيرام ٢٠-٣١٩؛ ١-٣٣٠؛ ٣٨٤)

وبعد أن خسر اليهود الحرب (مع الرومان)، وتم تدمير المعبد للمرة الأخيرة، انطمرت الأوراق المدفونة واستبدلت تعاليم المسيح: الناصوريين بالمسيحية، التي يمكن وصفها «بالبوليصانية»، بيد أن واقع أن اللاهوت المسيحي فشل في عكس محتويات تعاليم المسيح يعطي انطباعاً بأن الدوغما إنما

مكتبة الفكر الجديد

كانت إضافة متأخرة كثيراً. هذه المعتقدات التي ابتكرها بولص كانت تختلف تماماً عن أفكار المسيح الثورية والداعية إلى المساواة. (أنا هنا أنقل رأي الكاتبين كريستوفر نايت وروبرت لوماس.)

ويواصل هذان الكاتبان قولهما إن المسيح كان ثورياً وطليعياً في التبشير بالفكر الديمقراطي. وبمسعى بولص والعبادة الهرمية اللايهودية التي ابتكرها، تم دفن ونسيان تعاليم المسيح. لكن تم ابتعاثها فيما بعد.

ويقول هذان الكاتبان: بتنا نعتقد أننا توصلنا إلى فهم أصل الفكرة المسيحية الغريبة عن الثالوث المقدس، التي تتحدث عن الأب، الابن، والروح القدس كثلاثة كيانات في كيان واحد [في الأصل جاءت كثلاثة أشخاص في رأس إلهي واحد]. ويقول المؤلفان: في رأينا ان هذه الفورمة (format) الإلهية الثلاثية برهنت على الدوام على أن المسيحية هي ديانة ليست توحيدية. «هذا إلى أننا لم نفهم من هي الروح القدس، فهي إما المسيح أو انها كانت شخصاً آخر. يبدو أن المسيحيين يحاولون تجنب التفكير كثيراً في فكرة الثالوث المقدس لأنها لا تبدو معقولة.»

ويقول المؤلفان إن بداية الكنيسة المسيحية لا علاقة لها بالمسيح؛ لقد كانت من ابتكار رجل أجنبي foreigner، يدعى شاؤول، أو كما عرف مؤخراً بولص. وهما على ثقة بأنه الشخص الذي تم تشخيصه في أوراق البحر الميت بـ«الناطق بالأكاذيب» وأنه هو الذي تخاصم مع يعقوب (أخ المسيح)

مكتبة الفكر الجديد

ليختطف العبادة الناصورية [نسبة إلى يسوع الناصري]. كان هو بولص وأتباعه الذين لم يفلحوا في فهم المفاهيم المسيحية، وانتهوا إلى محاولة استيعاب الفكر اليهودي من خلال ابتكار فكرة الثالوث المقدس الغريبة عن الفكر اليهودي. (ص ٣٣٤)

هناك تناقضات بين الأناجيل، فهي لا تتفق على اليوم الذي تم فيه الصلب. ففي إنجيل يوحنا، حدث الصلب في اليوم السابق لعيد الفصح. واستناداً إلى أناجيل مرقس، ولوقا، ومتى، حدث في اليوم التالي. كما أن الأناجيل لا تتفق حول شخصية وطباع المسيح: على سبيل المثال إنه في لوقا مخلّص حليم وكالحمل، وهو قوي ومتهيب وذو سلطة في إنجيل متى، فهو لم يأتِ «ليبشر بالسلام بل بالسيف». وهناك اختلافات أخرى حول كلمات يسوع الأخيرة على الصليب. في إنجيل متى وإنجيل مرقس كانت الكلمات: «إلهي، إلهي، لماذا تخليت عني؟» وكانت في إنجيل لوقا: «أبي، إلى يديك أسلم روحي». وفي إنجيل يوحنا كانت ببساطة «لقد انتهيت».

في هذه الحالة يمكن تقبُّل الأناجيل كمرجع مثير للتساؤل كثيراً، وأنها ليست حاسمة. إنها لا تمثل الكلام الدقيق لأي إله؛ أو إذا كانت كذلك، فإن كلمات اللّه خضعت للرقابة، والتحرير، والمراجعة، من قبل أيدٍ بشرية. وتنبغي الإشارة إلى أن الكتاب المقدس، وهو يسري على كتابَي العهد القديم والعهد الجديد، هو عبارة عن مختارات من أعمال، وفي أحيان كثيرة، كيفية. ولم تكن هناك كُتب فُقدت، بل هي أُقصيت عمداً. وفي عام٣٦٧ م. وضع الأسقف أثانايوس من

مكتبة الفكر الجديد

الاسكندرية قائمة من الأعمال التي ينبغي أن يشتمل عليها كتاب العهد الجديد. وقد صادق على ذلك مجلس الكنيسة في Hippo في ٣٩٣م وكذلك مجلس قرطاجة بعد أربع سنوات. وفي هذين المجلسين تم الاتفاق على مختارات. وتجمعت أعمال معينة لتشكل العهد الجديد الذي نعرفه اليوم، كما أهملت غيرها بكل بساطة.

مكتبة الفكر الجديد

القراءة الأخيرة

ستقتصر قراءتي الأخيرة لحياة المسيح على كتاب The Holy Blood and The Holy Grail. وهـو كـتـاب صـدر فـي ١٩٨٦ للمرة الأولى، وترك ردود أفعال مختلفة، لأنه يتحدث عن «زواج» المسيح. وأنا لم أكن أفكر في قراءة هذا الكتاب إيماناً مني بأن مثل هذه المؤلفات قد تفتقر إلى المصداقية. لكنني غيرت رأيي، وقرأته.

علـى خـلاف مـا هـو مـتـداول، لـم يـجـعـل الإمـبـراطـور [الروماني] قسطنطين المسيحية الدين الرسمي لروما. لقد كان الدين الرسمي لروما تحت حكم قسطنطين، في الواقع، عبادة وثنية للشمس، وقد كان قسطنطين، طوال حياته، كاهنها الرئيسي. وكان حكمه يدعى «إمبراطوراً شمسياً»، وكانت العبادة التي تحمل اسم الشمس التي لا تقهر شائعة في كل الإمبراطورية - بما في ذلك الرايات والنقود. إن الصورة عن قسطنطين كمهتدٍ للمسيحية خاطئة بما لا شك فيه. فهو نفسه لم يُعمَّد إلا في ٣٣٧م. عندما كان على فراش الموت.

كانت عبادة الشمس التي لا تقهر (Sol Invictus) سورية في الأصل ثم فرضها الأباطرة الرومان على مرؤوسيهم قبل

قسطنطين بقرن. ومع أنها تشتمل على عناصر من عبادة بعل وعشتار، إلا أنها كانت في الأساس توحيدية. وبالتالي جعلت من إله الشمس كحصيلة لكل صفات الآلهة جميعاً، وبهذا أخضعت لها جميع الآلهة الأخرى.

إن عبادة الشمس التي لا تقهر مهّدت السبيل للديانة التوحيدية في المسيحية [هنا نوع من المغالطة، لأن المسيحية في حقيقتها لم تكن توحيدية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. لكنني هنا أتماشى مع المصدر الذي أنقل عنه] ففي مجلس نيقايا (٣٢٥م) تقرر اعتبار المسيح إلهاً، وليس نبياً فانياً. واستقرت الأرثوذكسية في الأساس على كتب العهد الجديد. لكن العهد الجديد هو عبارة عن مختارات من الوثائق المسيحية المبكرة ترقى إلى القرن الرابع. وهناك العديد من الأعمال المهمة الأخرى التي تسبق العهد الجديد في صيغته الحالية، وبعضها يلقي ضوءاً مهماً ومثيراً للجدل، لكنها أهملت.

هناك على سبيل المثال، كتب عديدة أُقصيت عن الإنجيل، وهي تشتمل على مجموعة ما يسمى بالأپوكريفا Apocrypha. لكن بعض الأعمال المشمولة في الأپوكريفا متأخر، يرجع إلى القرن السادس. أما بعضها الآخر فيرقى إلى القرن الثاني. وهو لا يقل أهمية عن المعترف به.

أحد هذه الأعمال إنجيل بطرس، الذي اكتُشفت أول نسخة منه في وادي النيل الأعلى في ١٨٨٦ م، مع أنها ذكرت من قبل أسقف إنطاكية في ١٨٠ م. استناداً إلى هذا الإنجيل الأپوكريفي، كان يوسف من اريماثايا صديقا مقرباً لپونتيوس

بيلاطس. فإذا كان هذا صحيحاً فإنه سيزيد من احتمال كون الصلب قصة مختلقة. كما أن إنجيل بطرس يشير إلى أن القبر الذي دفن فيه المسيح يقع في مكان يدعى «حديقة يوسف» ووردت فيه كلمات المسيح الأخيرة على الصليب: «ياقواي، ياقواي، لماذا خذلتني؟».

وهناك عمل أبوكريفي آخر، مثير جداً للاستغراب، هو ما يدعى بإنجيل الطفولة لعيسى المسيح، الذي يفترض أنه يرقى إلى القرن الثاني وربما أسبق. في هذا الكتاب تم تصوير المسيح كطفل ذكي لكنه طفل بشري بحق. بل لعله كان بشرياً جداً، فقد كان هنا عنيفاً وصعب المراس، إلى حد إظهار تصرفات صادمة والقيام بأعمال غير مسؤولة. أحد هذه التصرفات أنه ضرب طفلاً آخر إلى حد الموت بعد أن اعتدى عليه الطفل. وحادث آخر تعرّض له معلم أوتوقراطي.

نحن لا يمكننا أن نؤمن بصحة مثل هذه الأخبار. فنحن نعلم أن المسيح قد تعرّض للطعن في شخصه من قبل اليهود. ولا ننسى الصورة البشعة التي صور بها المسيح، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حيث نقل إلينا مسيح دميم بشع الخلقة، وهي صورة لا يمكن أن تنطبق على قائد يفترض أن اللّه قد اصطفاه ليكون قدوة للبشر.

من بين أبرز الهراطقة الأوائل كان ڤالنتينوس من الاسكندرية، الذي أمضى الجزء الأخير من حياته في روما (١٣٦-١٦٥). في زمانه كان ڤالنتينوس ذا تأثير كبير، وكان أشخاص مثل بطليموس من أتباعه. وكان مطلعاً على عدد كبير

من «تعاليم المسيح»، ورفض الانصياع للسلطة في روما، مؤكداً أن المعرفة الشخصية تتقدم على كل المعارف الأخرى (؟)

وهناك شخص آخر من وزن ڤالنتينوس، هو مارسيون، صاحب أسطول من السفن وأسقف وصل إلى روما في حدود ١٤٠ م.، ثم حرم كنسياً بعد ذلك بأربع سنوات. وقد وضع مارسيون حداً فاصلاً بين «القانون» و«الحب»، اللذين قرنهما بالعهد القديم والعهد الجديد على التوالي. وهو يعتبر أول كاتب جمع القائمة القانونية للكتب التي يتألف منها العهد الجديد، التي استثنى منها العهد القديم كله (أي التوراة).

والهرطقي الثالث البارز في تلك الفترة، ولعله كان ملتبساً أكثر من البقية، هو باسيليدس، الاسكندراني الذي كتب بين ١٢٠-١٣٠م. كان باسيليدس ملماً بالمؤلفات العبرية والأناجيل المسيحية. وكان إلى ذلك متضلعاً بالفكر المصري واليوناني. ويعتقد أنه ألّف ليس أقل من أربعة وعشرين تعليقاً على الأناجيل. واستناداً إلى أرينايوس، أنه نشر أكثر الهرطقات خبثاً، فقد زعم باسيليدس أن صلب المسيح كان خدعة، وأن المسيح لم يمت على الصليب، وأن بديلاً عنه -هو سمعان من سيرينه- أخذ مكانه. مثل هذا الحكم يبدو غريباً. ومع ذلك لقد تبين أنه قول راسخ ومتماسك، ولقد أكد القرآن فيما بعد هذا الرأي بالضبط - أن بديلاً أخذ مكان المسيح، وهو من عرف باسم سمعان من سيرينه.

إن أوراق نجع حمادي التي عُثر عليها في مصر عام ١٩٤٥ تُعتبر من بين أهم الأوراق المسيحية الأولى إلى جانب الكتاب

مكتبة الفكر الجديد

المقدس وهي غنوصية في جوهرها. وهي تشتمل على الكثير من المقاطع المخالفة للمؤسسة الرسمية المسيحية. في إحدى هذه الأوراق يصور المسيح تماماً كما هو في هرطقة باسيليدس- أفلت من موته على الصليب. وفي ما يلي يتحدث المسيح بلغة المخاطبة:

«أنا لم أستسلم لهم كما خططوا ... وأنا لم أمت في الواقع بل في المظهر، لئلا أتعرض إلى ما يشين... ذلك أن موتي الذي تراءى لهم أنه كان واقعاً، في حسبانهم وعماهم، أبوهم، من شرب المِرّة والخل؛ لم أكن أنا. لقد ضربوني بالقصبة؛ لقد كان شخصاً آخر، سمعان، الذي حمل الصليب على كتفه. وكان شخصاً آخر من وضعوا عليه تاجاً من الشوك... أما أنا فكنت أضحك على جهلهم.» [أنا نقلت هذا النص بالحرف الواحد].

وتتحدث أوراق نجع حمادي عن العلاقة المريرة بين مريم المجدلية والقديس بطرس. وقد تطرقت إلى هذا الموضوع في صفحات سابقة.

لكن هناك أشياء أخرى ورد ذكرها في هذه الأوراق، التي تعتبر هرطقة، لاسيما ما جاء في إنجيل فيليب (الذي تحدث عن العلاقة المريرة بين المجدلية وبطرس).

هناك على سبيل المثال توكيد متكرر حول صورة «حجرة العرس»، ذات المدلول الغامض. فبالاستناد إلى إنجيل فيليب، «المسيح قام بكل شيء بصورة ملغزة، التعميد، الميرون

مكتبة الفكر الجديد

Chrism (زيت مقدس يمسح به عند التعميد)، والقربان المقدس Eucharist، والتخلص من الخطيئة Redemption، وحجرة العرس. وليدخل في روعنا أن حجرة العرس، للوهلة الأولى، قد تبدو رمزية، أو مجازية. بيد أن إنجيل فيليب أكثر وضوحاً: «كنَّ ثلاثاً اللواتي كن يمشين دائماً مع المسيح: مريم أمه، وأختها، والمجدلية، تلك التي كانت تدعى رفيقته his «companion». استناداً إلى أحد الباحثين، فإن كلمة «رفيقة» ينبغي ترجمتها كـ «زوجة». وهناك دواعٍ للاعتقاد بذلك. وقد جاء في إنجيل فيليب أيضاً:

«ورفيقة المخلّص هي مريم المجدلية. لكن المسيح أحبها أكثر من كل الحواريين وكان يقبّلها كثيراً من فمها. وكان بقية الحواريين يتضايقون من ذلك ويعبّرون عن عدم رضاهم. كانوا يقولون له «لماذا تحبها أكثر منا جميعاً؟» وكان المخلّص يجيبهم: «لماذا لا أحبكم كما أحبها؟».»

ويعقب إنجيل فيليب على الموضوع: «لا تخافوا من الجسد ولا تحبوه. إذا خفتم منه، فلسوف يتسيّد عليكم، وإذا أحببتموه، فسوف يبتلعكم ويشلّكم». وفي مواضع أخرى: عظيم هو سر الزواج! ذلك أنه بدونه لما كان العالم قد وجد. فوجود العالم يتوقف على الرجل [أم لعل المقصود بذلك الإنسان، فالكلمة هي man] ووجود الرجل [أو الأنسان] يتوقف على الزواج». وقرب نهاية إنجيل فيليب، نجد العبارة الآتية: «هناك ابن الإنسان وهناك ابن ابن الإنسان. المسيح هو ابن الإنسان، أما ابن ابن الإنسان فهو ذلك الذي خلق من خلال ابن الإنسان.»

مكتبة الفكر الجديد

هذه الفذلكة المسيحية حول كون المسيح ابن الإنسان لا ندري ماذا يراد بها في الوقت الذي تُفتي المسيحية بأن المسيح هو ابن اللّه. أنا لا أريد التوقف كثيراً هنا، سوى أنني أقول إن المسيحية ديانة متهافتة فلسفياً. لكنها نبيلة أخلاقياً، من خلال إيمانها بمبدأ الحب.

أعود إلى موضوع الكيان الرسمي للمسيحية، والتنويعات الهرطقية -الهائلة- على هذا الكيان التي ظهرت في القرون الأولى من عمر المسيحية.

لا بد من ذكر المانوية هنا، العقيدة التي أنشأها ماني الذي ولد بالقرب من بغداد في ٢١٤م.، من أسرة تمتّ بصلة قربى إلى العائلة المالكة الإيرانية. أدخله والده في فرقة باطنية لعلها غنوصية- كانت تدعو إلى التنسك وحياة العزوبة، وتمارس التعميد، وترتدي الثياب البيضاء. في حدود ٢٤٠م. بدأ ماني بالتبشير بتعاليمه، وكالمسيح كان معروفاً بإبراء المرضى روحياً وطرد الأرواح. واعتبره أتباعه «المسيح الجديد»، وحتى أنعموا عليه بولادة من عذراء. وعُرف أيضاً بالمخلّص، ورسول، وتنويري، وLord، ومبتعث الموتى، ومرشد.

استناداً إلى مؤرخين عرب (في مرحلة لاحقة) ألّف ماني كتباً كثيرة زعم فيها أنه كشف عن أسرار تطرق إليها المسيح بصورة غامضة وملتوية. واعتبر زرادشت، وبوذا، والمسيح كمبشرين لدعواه، وأعلن، أنه مثلهم. تسلم نفس الدعوة التنويرية من نفس المصادر. وتتضمن تعاليمه ثنائية غنوصية ملتحمة ببناء كوني. وإن الصراع بين النور والظلام كان يعم كل

شيء. وإن ساحة المعركة لهذين المبدأين المتعارضين هي روح الإنسان. ومثل طائفة الكاثَر Cathars (في فرنسا في القرون الوسطى)، اعتنق ماني مبدأ التناسخ. وسمى المسيح «ابن الأرملة»، وهي عبارة تبناها فيما بعد الماسونيون الأحرار. وفي الوقت نفسه اعتبر المسيح فانياً. وذهب ماني إلى القول مثل باسيليدس بأن المسيح لم يمت على الصليب، بل استبدل ببديل.

في ٢٧٦م. سُجن ماني بأمر من الملك، وسُلخ حتى الموت، وقطع رأسه، وربما لتحاشي البعث عرضت جثته على الملأ.

من بين المؤمنين به -فيما بعد- ولو لمدة محدودة كان القديس أوغسطين. وبسرعة هائلة انتشرت المانوية في العالم المسيحي.

بالإضافة إلى المانوية، ظهرت ما يسمى بالهرطقات العديدة حول المسيحية. من بينها جميعاً، تذكر هرطقة آريوس Arios بصفة خاصة، التي شكلت خطراً كبيراً على المسيحية في الألف الأول الميلادي. كان آريوس قساً كنسياً كبيراً presbyter في الاسكندرية بحدود ٣١٨م، وتوفي في حدود ٣٣٥م، لقد كانت خصومته مع العقيدة (الرسمية) بسيطة واستقرت على مقولة واحدة - إن المسيح كان بالكامل فانياً، ولم يكن مقدساً بأي شكل من الأشكال، وبأي شكل من الأشكال لم يكن أكثر من معلم ملهم.

مع أن الإريانية كانت مدانة في مجلس نيقايا في ٣٢٥م، إلا

أن قسطنطين كان متعاطفاً معها، وتعزز موقفه هذا أكثر في آخر حياته. وعند موته، أصبح ابنه وخليفته قسطنطينوس، من أتباع آريوس بلا منازع. وبإيعاز منه كانت تقام المجالس المسيحية التي تنكرت للمسيحية الرسمية ونفتها. وفي ٣٦٠م حلَّت الآريوسية محل الكنيسة الرومانية تقريباً.

وكانت وجهة النظر الاريانية (الآريوسية) عن المسيح متطابقة إلى حد بعيد مع القرآن. ويؤكد مؤلفو كتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة) أن المسيح ذكر في القرآن ليس أقل من خمس وثلاثين مرة، تحت عدد من المسميات المذهلة، بما في ذلك «رسول اللّه» و«المسيح». لكنه لم يعتبر بأي شكل من الأشكال كأي شيء عدا كونه نبياً فانياً، وممهداً لمحمد وناطقاً بإله واحد كلّي القدرة. ومثل باسيليدس وماني، أكد القرآن أن المسيح لم يمت على الصليب. ولا يتوسع القرآن بشأن هذه الآية الغامضة، بيد أن المعلقين المسلمين فعلوا. استناداً إلى معظمهم، كان هناك بديل على العموم، لكن ليس دائماً، هو سمعان من سيرينه. وبعض كتب المسلمين يروي أن المسيح اختبأ في كوة في حائط يراقب صلب البديل، وهو ما ورد ذكره في مقطع من مقاطع أوراق نجع حمادي. (الكلام على عهدة مؤلفي كتاب «الدم المقدس والكأس المقدسة»).

مكتبة
الفكر الجديد

فرضية الزواج

ليس من المعروف أن المسيح كان متزوجاً. بل على العكس، إن الأناجيل تؤكد أنه كان أعزب. لكن هناك من يعتقد أن زواجه كان محتملاً، وربما أكيداً، في ضوء القراءات التي مرت بنا. ولا شك أن هذا يقتضي الإيمان بعدم موت المسيح على الصليب. وإن من بين الداعين لهذه النظرية بقوة هم مؤلفو كتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة). وسنصغي إلى رأيهم بكل اهتمام، ثم نناقشه.

تحت عنوان (The Marital Status of Jesus) جاء ما يلي:

لم يكن مقصدنا أن نبخس حق الأناجيل. كنا نحاول فقط أن نغربل هذه الكتب - أن نضع أيدينا على مقاطع معينة ممكنة أو محتملة من الحقيقة ونستقطرها من بين النسيج المحيط بها. كنا نبحث عن مقاطع، فوق ذلك، ذات خصيصة خاصة- مقاطع يمكن أن تعزز موضوع الزواج بين المسيح والمرأة المعروفة باسم المجدلية. وأكد هؤلاء الكتّاب أنهم ليسوا من السذاجة ليبحثوا عن أدلة مباشرة في (الأناجيل) حول موضوع الزواج. هذه الأدلة المباشرة غير موجودة. لكنهم سيبحثون عمّا بين السطور علّهم يتوصلون إلى مبتغاهم. وقد درسوا الكتاب بدقة،

مكتبة الفكر الجديد

واجتهدوا، ثم توصلوا، أو أقنعوا أنفسهم بأن المسيح كان متزوجاً. وقد تلبثوا أمام امرأتين مرشحتين كزوجة للمسيح، هما مريم من بيت عنيا أخت لعازر؛ ومريم المجدلية. لكنهم استقروا في الأخير على المجدلية، بعد أن دمجوا ثلاث نساء في امرأة واحدة. ذلك أن النصوص لا تسعف، ولا تسمّي الأشياء بمسمّياتها الصريحة.

في الإنجيل الرابع هناك حادث زواج قد يظن البعض أنه يحتمل أن يكون زواج المسيح. هذا الحادث هو ما عُرف بالزواج في قانا. من رواية الإنجيل الرابع يفهم أن هذا الزواج في قانا كان متواضعاً ومحلياً، زواجاً قروياً تقليدياً، لا يظهر فيه الخطيب أو الخطيبة. إلى هذا العرس كان المسيح مدعواً بصورة خاصة، مما يبدو غريباً، ذلك أنه لم يكن بعد قد بدأ دعواه. ومما يدعو للغرابة أكثر أن أمه كانت حاضرة. وأن حضورها كان يبدو أمراً اعتيادياً، مع أن الغموض يلفه. [في واقع الحال، إن كل كتابات الأناجيل يسودها نوع من اللبس والغموض].

وأكثر من ذلك، إنها مريم [الأم] التي لم تكتفِ بالاقتراح على ابنها، بل تأمره بأن يوزع الخمر. لقد تصرفت كأنها كانت هي المضيفة: «وعندما طلبوا الخمر، فإن أم المسيح قالت له: ليس عندهم خمر. فقال المسيح لها: أيتها المرأة، ماذا عليّ أن أفعل معك؟ إن ساعتي لم تحن بعد.» (كما جاء في إنجيل يوحنا ٢: ٣-٤). لكن مريم دونما أي قلق تجاهلت اعتراض ابنها: «لقد قالت أمه للخدم، مهما يقل لكم استجيبوا للأمر.»

واستجاب الخدم في الحال - لكأنهم كانوا معتادين على الأمر على تلقي الأوامر من كل من مريم والمسيح.

بالرغم من عدم اهتمام المسيح بما قالته أمه، فإن مريم تمسكت برأيها، ومارس المسيح طرح معجزته الكبرى الأولى، تحويل الماء إلى خمر. ومع هذا، كما جاء في الأناجيل، هو لم يظهر قواه بعد، ولم يكن هناك موجب لمريم أن تفترض أنه يتمتع بها. [أنا لم أفهم فحوى هذا الكلام الذي أنقله من الإنكليزية]. وحتى لو كانت فلماذا بادرت مريم إلى هذا الطلب من ابنها؟ والأهم من هذا لماذا يأخذ ضيفان في حادث زواج على عاتقهما مسؤولية تقديم الطعام - المسؤولية، التي في جري العادة، ينبغي أن يقوم بها المضيفون؟ إلا، إذا طبعاً، كان الزواج في قانا، زواج المسيح نفسه. وفي تلك الحالة، سيكون من واجبه أن يقدم الخمر.

هناك دليل آخر، كما يقول مؤلفو الكتاب، على أن العرس في قانا هو عرس المسيح نفسه. فبعد أن تم تنفيذ المعجزة، قام «مدير الحفلة» بتذوق الخمر المنتج حديثاً، «ودعا مدير الحفل العريس، وقال له، كل امرئ يقدم في البدء خمراً جيداً، وعندما يشرب الرجال كفايتهم، يقدم الخمر الرديء. لكنك حافظت على الخمر الجيد حتى الآن» (يوحنا ٢ : ٩-١٠). يبدو أن هذه الكلمات كانت موجهة إلى المسيح.

لكن بالاستناد إلى الإنجيل، على أية حال، فإنها موجهة إلى «العريس». وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن المسيح والعريس هما شخص واحد.

مكتبة الفكر الجديد

زوجة المسيح؟

إذا كان المسيح متزوجاً، فهل هناك إشارة في الأناجيل إلى هوية زوجته؟

في الاعتبار الأول يبدو أن هناك مرشحتين - امرأتين، فضلاً عن أمه، اللتين يرد ذكرهما مراراً في الأناجيل بصفتهما من بين الحاشية. أولى هاتين المرأتين هي المجدلية - أو على وجه الدقة، مريم من قرية المجدل، أو مجدلا، في الجليل. في الأناجيل الأربعة كلها، إن دور هذه المرأة هو غامض، ويبدو أنه جاء غامضاً بصورة مقصودة. في كتابات مرقس ومتى لم تذكر بالاسم إلا في الأخير تقريباً. وعندما يظهر اسمها في اليهودية، في وقت الصلب، وهي تذكر ضمن أتباع المسيح. ويبدو أنها كانت ترافقه من الجليل إلى اليهودية. وهذا بحد ذاته يدعو إلى الاعتقاد بأنها كانت متزوجة من أحدهم. وفي أيام المسيح كان من غير المقبول لامرأة غير متزوجة أن تسافر من دون رفقة - بل وأكثر، أن تسافر بغير رفقة مع معلم من المتدينين وحاشيته (المقصود بذلك المسيح). لهذا كان يزعم أحياناً أن المجدلية كانت متزوجة من أحد أتباع المسيح. لكن إذا كان الأمر كذلك، فإن علاقتها الخاصة مع المسيح، علاقة حميمة معه، كان من الممكن أن تجعلهما كليهما عرضة للتقولات، إن لم نقل الاتهام بالزنى.

وبحسب الأعراف لم تكن المجدلية بأي شكل وفي أي إنجيل، قد اعتُبرت مومساً. عندما ذُكرت للمرة الأولى في إنجيل لوقا، وصفت بأنها امرأة «أخرج من رأسها سبعة

شياطين.» ومن المعترف به أن هذه العبارة يشار بها إلى حالة من طرد الأرواح، بما يعني أن المجدلية كانت موسوسة. لكن العبارة يمكن أن تشير إلى ضرب من الاعتناق الديني، أو ضرب من التلقين الطقوسي. إن عبادة عشتار - الإلهة الأم و «ملكة السماء» - كانت تشتمل على تلقين من سبع مراحل. ولعل المجدلية قبل علاقتها بالمسيح كانت تمارس مثل هذه العبادة.

وقبل أن يتحدث لوقا عن المجدلية بفصل، يشير إلى امرأة مسحت المسيح. وفي إنجيل مرقس هناك عملية مسح مماثلة من امرأة لم يذكر اسمها. لم يربط لوقا ولا مرقس هوية هذه المرأة بالمجدلية. بيد أن لوقا يذكر أنها كانت «إمرأة ساقطة»، «خاطئة». وإن المعلقين المتأخرين افترضوا أن المجدلية، يجب أن تكون خاطئة مادامت مبتلاة بسبع شياطين طردوا منها. طبقاً لذلك فإن المرأة التي مسحت المسيح والمجدلية يمكن اعتبارهما امرأة واحدة.

لكن الوضع المالي للمجدلية كان جيداً. فقد أفاد لوقا، على سبيل المثال، أن من أصدقائها كانت زوجة أحد وجهاء بلاط هيرود. وأن كلتا المرأتين، إلى جانب أخريات، كن يساعدن المسيح وأتباعه من مصادرهن المالية. كما أن المرأة التي مسحت المسيح كانت امرأة ذات مورد اقتصادي. وفي إنجيل مرقس يولي اهتماماً كبيراً بتكاليف مرهم الناردين الذي يستعمل في الطقوس الدينية. وينبغي أن نعلم أن عملية المسح كانت تقام للملوك وللمسيح الصادق الذي يعني «الرجل الممسوح». من هنا يتضح أن المسيح يصبح مسيحاً حقاً بفضل

مكتبة الفكر الجديد

مسحه. وأن المرأة التي ترسمه كاهناً لا يمكن أن تكون إلا على جانب من الأهمية.

وعلى أية حال من الواضح أن المجدلية، في نهاية دعوة المسيح، أصبحت امراة ذات أهمية كبيرة. وكان المسيح يعامل المجدلية معاملة خاصة ومتميزة. ومثل هذه المعاملة كانت تثير الحسد لدى الأتباع الآخرين. وأصبح واضحاً أن التقاليد الأخيرة حاولت تلطيخ سمعة المجدلية، واسمها. إن وصمها بالسقوط يمكن أن يكون نتيجة للشعور بالغيرة منها، لكونها انتزعت اهتمام المسيح بها. وهكذا جرت المحاولات للحط من قيمتها. ولا تزال سمعة السقوط تلاحقها. وفي القرون الوسطى كانت منازل المومسات التائبات تدعى بيوت المجدلانيات. بيد أن الأناجيل نفسها تشهد على أن المرأة التي خلفت اسمها على هذه المؤسسات لا تستحق أن توصم بهذه السمعة.

هذا إلى أن المجدلية لم تكن المرشحة الممكنة الوحيدة لأن تكون زوجة المسيح. هناك امرأة أخرى، يظهر اسمها بكثرة في الإنجيل الرابع، وهي التي تعرف باسم مريم من بيت عنيا، أخت مارتا ولعازر. وهي وعائلتها على وفاق تام مع المسيح. وهم أغنياء، أيضاً، ويملكون بيتاً في حي راقٍ في أورشليم، وكبيراً بحيث يتسع لاستضافة المسيح وحاشيته بكاملها. وأكثر من ذلك، إن حادثة لعازر تعكس أن هذا البيت يشتمل على ضريح خاص - لم يكن علامة على الثراء فقط بل إشارة إلى علاقات أرستقراطية.

وفي الإنجيل الرابع خبر عن تعرّض لعازر للمرض، وعن

المسيح عندما يترك بيت عنيا لبضعة أيام، ويبقى مع مريديه على الأردن. وبعد أن تناهى إليه ما حدث، يتأخر لبضعة أيام - وهو رد فعل غريب - ثم يعود بعد ذلك إلى بيت عنيا، حيث كان لعازر مضطجعاً في القبر. وعندما اقترب، تهرع مارتا لملاقاته وهي تبكي. «سيدي، لو كنت أنت هنا، لما توفي أخي.» (يوحنا ١١: ٢١). لكن هذا أمر غريب، لماذا يكون حضور المسيح الفيزيقي عاملاً ضرورياً في إيقاف موت الرجل؟ بيد أن الحدث يتسم بأهمية، لأن مارتا كانت وحيدة عندما استقبلت المسيح. هذا في حين كان يمكن أن تكون أختها مريم معها. بيد أن مريم كانت جالسة في البيت - ولم تظهر إلا بعد أن يأمرها المسيح بالحضور. إن المسألة تصبح أوضح في «إنجيل مرقس الخفي»، الذي اكتُشف من قبل البروفيسور مورتن سميث. في النص المختزل لمرقس، يتضح أن مريم تظهر من البيت قبل أن يطلب منها المسيح أن تفعل ذلك. ثم إن الحواريين وبّخوها بشدة على ذلك. لكن المسيح اضطر أن يسكتهم.

وجاء في إنجيل لوقا:

لقد دخل إحدى القرى، واستقبلته إحدى النساء التي تدعى مارتا في بيتها.

ولها أخت تدعى مريم، وهي الأخرى جلست عند قدمي المسيح، وسمعت كلامه.

لكن مارتا كانت تشعر بالإرهاق من كثرة الخدمة، وجاءت إليه، وقالت، سيدي ألا يهمك أن أختي تركتني لأقوم بالخدمة وحدي؟ أطلب منها إذن بأن تساعدني.

مكتبة الفكر الجديد

وأجابها المسيح قائلاً، مارتا، مارتا، أنت شديدة الاهتمام وترهقين نفسك حول كثير من الأشياء.

لكن شيئاً واحداً مفيد ومريم اختارت ذلك الجزء المهم، الذي لا ينبغي أن يؤخذ منها.

[أنا أترجم هنا كلاماً لا يكاد يكون له معنى. وكنت أود أن أقف على الترجمة العربية لهذه النصوص، لكنها ليست تحت متناول يدي].

[لكن فلنتابع سيناريو الزواج]

من مناشدة مارتا، يبدو من الواضح أن المسيح يمارس ضرباً من السلطة على مريم. وأكثر أهمية من ذلك على أية حال، هو جواب المسيح. وبأي مضمون آخر فإن المرء لن يتردد في تفسير هذا الجواب كإيحاء بالزواج. وفي كل الأحوال إنه يشير بوضوح إلى أن مريم من بيت عنيا كانت تلميذة حيوية كالمجدلية.

وهناك سبب مهم لاعتبار المجدلية والمرأة التي مسحت المسيح امرأة واحدة، أي نفس الشخص. هل يمكن أن يكون هذا الشخص، نحن نتساءل، أيضاً نفس شخص مريم من بيت عنيا، أخت لعازر ومارتا؟ هل يمكن أن تكون هؤلاء النساء، اللواتي يظهرن في الأناجيل كثلاث كيانات مختلفة شخصاً واحداً؟ إن كنيسة القرون الوسطى اعتبرتهن حقاً هكذا، وهكذا كان الرأي العام. والعديد من دارسي الكتاب يتفقون اليوم مع هذا الرأي. هناك أدلة جمة تدعم مثل هذه النتيجة.

إن أناجيل متى ومرقس ويوحنا، على سبيل المثال، كلها

مكتبة الفكر الجديد

تذكر أن المجدلية كانت حاضرة في مشهد الصلب. لكنها كلها لا تذكر مريم من بيت عنيا. بيد أن مريم من بيت عنيا إذا كانت تلميذة مخلصة كما يبدو عليها، فإن غيابها سيبدو إهمالاً. هل من المعقول أنها -ولا نذكر أخاها، لعازر- تقصّر في حضور ساعة الذروة لحياة المسيح؟ إن مثل هذا الإهمال سيكون غير قابل للتفسير وغير مقبول في الوقت نفسه- ما لم تكن، طبعاً، هي حاضرة وورد ذكرها في الأناجيل تحت اسم المجدلية. إذا كانت المجدلية ومريم من بيت عنيا شخصاً واحداً، فلن يطرح سؤال عن غياب الأخيرة عن مشهد الصلب.

إن المجدلية يمكن مماهاتها مع مريم من بيت عنيا. والمجدلية يمكن مماهاتها أيضاً مع المرأة التي مسحت المسيح. إن الإنجيل الرابع يماثل بين المرأة التي مسحت المسيح ومريم من بيت عنيا. حقاً، إن مؤلف الإنجيل الرابع دقيق في المسألة.

والآن كان هناك رجل مريض، يدعى لعازر، من بيت عنيا، بلدة مريم وأختها مارتا.

لقد كانت مريم هي التي مسحت المسيح بالمرهم، ونشفت قدميه بشعرها، التي كان أخوها لعازر مريضاً (يوحنا ١١ : ١-٢). ومرة أخرى، بعد فصل:

«ثم بعد ستة أيام من عيد الفصح، قدِم المسيح إلى بيت عنيا، حيث كان لعازر ميتاً، ثم بعثه من الموت.

«وهناك دعوة له على عشاء؛ ومارتا قامت بالخدمة: بيد أن لعازر كان واحداً من بينهم وجلس أمام المائدة معه.

«ثم أخذت مريم رطلاً من مرهم الناردين، الباهظ الثمن،

ومسحت قدمي المسيح، ونشّفت قدميه بشعرها، وامتلأ البيت برائحة المرهم. (يوحنا ١٢ : ١-٣).

هكذا كان جلياً أن مريم من بيت عنيا والمرأة التي مسحت المسيح كانتا امرأة واحدة. إن لم يكن هذا واضحاً، فإنه لمن المحقق أن من المحتمل أن تكون هذه المرأة هي المجدلية أيضاً. إذا كان المسيح متزوجاً حقاً، فلسوف تكون هناك مرشحة واحدة كزوجة له - امرأة واحدة التي يتكرر ذكرها دائماً في الأناجيل تحت أسماء مختلفة وبأدوار مختلفة.

لم ينتهِ سيناريو مؤلفَي كتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة) حول زواج المسيح عند هذا الحد. هناك إضافة تحت عنوان (سلالة المسيح). لكنني بعد قراءته لم أجده جديراً بالمناقشة.

نحن في الأساس سنناقش مسألة زواج المسيح، فإذا ثبت لنا أن المسيح لم يكن متزوجاً، فلا جدوى من مناقشة موضوع سلالته المزعومة.

ونحن نعتقد أن المنطق الذي تأسست عليه نظرية زواج المسيح متهافت جملة وتفصيلاً. ذلك أن مؤلفي هذا الكتاب، أو أصحاب فرضية الزواج، انطلقوا من سيناريو أدخلوه في أدمغتهم، وحاولوا تقديم «أدلة» على صحة هذا السيناريو. إن كل عملهم يدخل في باب التعلق بالآمال، أو ما يسمى بالإنكليزية Wishful Thinking.

ولعل أضعف نقطة في هذا السيناريو هو دمج ثلاث شخصيات نسائية مختلفة في امرأة، هي مريم المجدلية؛ ومريم

مكتبة الفكر الجديد

من بيت عنيا، أخت لعازر؛ والمرأة التي مسحت المسيح بمرهم الناردين، ونشفت قدميه بشعرها. إن محاولة اعتبار هؤلاء النساء امرأة واحدة هو ما يمكن أن يدعى بِلَيّ عنق الحقيقة. كيف لنا أن نقتنع بأن أولاء النساء هن امرأة واحدة، مع أن لكل منهن شخصيتها المتميزة، ربما باستثناء المرأة التي مسحت المسيح بمرهم الناردين، التي لم يذكر اسمها. لكن المرأة التي مسحت المسيح بمرهم الناردين، ذكرت في ثلاث مناسبات: مرة لم يذكر اسمها؛ وفي مرة أخرى هي مريم من بيت عنيا، وفي مرة ثالثة هي مريم المجدلية. وعلى أية حال إنهن نساء ثلاث... وحتى لو كنَّ اثنتين، فلماذا يدمجن في امرأة واحدة، مع أن المجدلية لا يمكن مقارنتها أو مماهاتها بمريم من بيت عنيا. فهذه الأخيرة معروفة بكونها أخت لعازر الذي أحياه المسيح بعد موته.

نحاول أن نخلص من هذا إلى أن من الصعب الجمع بين شخصيتي مريم من بيت عنيا، ومريم المجدلية. إن فرضية الدمج هذه غير مقنعة بأي شكل من الأشكال. وهذا ينسف احتمال أن يكون المسيح متزوجاً من امرأة هي امرأتان مختلفتان ومتميزتان في آن واحد.

المناقشة الأخرى لعدم احتمال عزوبة المسيح، انطلاقاً من أن المسيح كان معلماً، Rabbi، والمعلم لا يمكن أن يكون أعزب، نقول إن هذا صحيح بصورة عامة، لكن الزواج لم يكن نظاماً إلزامياً. فهناك رجال من زمن المسيح لم يكونوا متزوجين، نذكر من بينهم يوحنا المعمدان.

والحق أن أخبار المسيح متضاربة. هو كان على علاقة حميمة مع مريم المجدلية. وكان يقبّلها من فمها بحسب إنجيل فيليب. وسمّى هذا الإنجيل المجدلية بأنها كانت رفيقة المسيح Companion، وفسّروا كلمة Companion، بأنها يمكن أن تكون زوجة. لكننا لا نذكر أن كلمة «زوجة» بالحرف الواحد ذكرت بشأن المسيح، اللّهم إلا ربما في بعض الأناجيل الهرطقية. فماذا سيكون موقفنا؟ سأعترف بأنني لا أزال على غير يقين حول هذا الموضوع. وأنا أصلاً لم أجدني مؤهلاً للكتابة عنه بعد أن أصبحت عاجزاً تقريباً عن الكتابة، بحكم تقدم سنّي وتردّي ذاكرتي. أنا كنت أريد أن ألهي نفسي في الأيام القليلة المتبقية من عمري بشيء يدفع عني كآبة الشيخوخة أو يخففها. ففكرت في الكتابة عن مريم المجدلية التي كانت موضوعاً مؤجلاً دائماً بالنسبة إليّ. ولم أفكر في التوسع في هذا الموضوع. لكنني وجدتني مستدرجاً شيئاً فشيئاً إلى التعامل مع المسيح بحكم العلاقة الحميمة بين المجدلية والمسيح. وهنا شعرت أنني زججت نفسي في أصعب وأعقد موضوع. لكنني لم أعد قادراً على التراجع. ثم إن هذا الموضوع أصبح سلواي الوحيدة في ما تبقى من حياتي. هذا إلى أنني اكتشفت أشياء مثيرة جداً في هذا الموضوع. لكن الذي بقي يؤرقني هو مدى صدقية هذه الأخبار التي أخذت تتكشف أمامي عن المسيح. وهذا سيبقى عامل إقلاق لضميري، فأنا أحب شخصية المسيح حباً جماً. لكن ما وقفت عليه يمكن أن يزعزع هذا الحب، رغم أنني لا أريد أن أتخلى عن محبتي لهذا الرجل. فأنا صنعت ثلاثة

أبطال في أعمالي الروائية كشخصيات تحمل سمات المسيح.
وأنا أعتبر نفسي -سأجرؤ على قول ذلك- نسخة مسيحية في إطار ما. ولم يمنعني شيء عن ذلك بعد أن اطلعت على جوانب سلبية من حياة المسيح، بصرف النظر عن مصداقيتها.

الحقيقة المطموسة عن زواج المسيح

من المعلوم أن الأناجيل لا تتطرق، لا من قريب أو بعيد، إلى موضوع زواج المسيح. المسيح، في أخبار الكتاب المقدس، كان أعزب، ولم تكن له علاقة بامرأة.

لكن الكتابات الأخرى، خارج الكتاب المقدس، تذكر أنه كان متزوجاً، وتذهب إلى أنه أنجب ذرية. ونحن بقينا على غير يقين من حقيقة الأمر، إلى أن قدمت لنا الإنترنت أخباراً جديدة حول الموضوع. موضوع زواج المسيح.

هل كانت للمسيح زوجة؟ إن قصاصة مثيرة للجدل من البردي تعود بهذه الفكرة إلى القرن الثامن الميلادي. في مؤتمر عقد في روما من قبل مدرسة هارفرد للعلوم الدينية تطرقت كارن كينغ Karen King إلى «انجيل زوجة المسيح» -وهي عبارة عن قصاصة من البردي بكتابة قبطية- تحتوي على أسطر مثيرة للحيرة. (تقول : «لعل المسيح كانت له زوجة، هذا ما جاء في نص قديم»).

إن الكلمات «المسيح قال لهم، زوجتي. . . إنها قادرة على أن تكون حواريتي. . . » كتبت في وسط القصاصة. وهي مؤرخة من قبل كينغ في القرن الرابع.

مكتبة الفكر الجديد

وقد أثار هذا الزعم شكاً من لدن الباحثين في شؤون الدين، الذين اعتبروا المقطع تزويراً محتملاً. بيد أنه في سلسلة من التقارير الصادرة عن مجلة هارفارد النظرية، ذكر مختلف المختصين تحاليل لكيمياء المقطع وكتابته القديمة بالحبر القديم وأن نسيج البردية يرجع تأريخه إلى القرن السابع أو الثامن. وتعتقد كارن كينغ أنها نسخة عن نص أقدم.

«كل الأدلة تشير إلى أنها قديمة» كما قالت كينغ في مكالمة تلفونية.

لكن مصدرها وكاتبها غامضان، فهي مقتناة من قبل جامع نصوص لم يذكر اسمه، مع قوائم عن البيع تعود فقط إلى ١٩٩٩، استناداً إلى كينغ.

هذه الحقيقة (زواج المسيح) جاهر بها العديد من الناس، وفي مقدمتهم المسيح نفسه. لكن الكنيسة تصر على تكذيبها، لأن شيئاً من هذا، أي زواج المسيح، يخالف ما جاء في الأناجيل الأربعة المعترف بها والمعتمدة وحدها فيما يخص حياة المسيح. لكن هذا الإصرار والإنكار لا موجب له، لأنه لن ينال من المسيح، ولن يغير شيئاً من تعاليمه. فالمسيح باقٍ ذاك المسيح الذي عرفته الأجيال، سواء كان متزوجاً أم غير متزوج. وهذا ما أكدت عليه البروفيسورة كارن كينغ، التي نشرت خبر البردية papyrus التي وردت فيها الكلمات الآتية: «المسيح قال لهم، زوجتي... إنها قادرة على أن تكون حواريتي my disciple.»، حيث قالت فيما بعد: «إنني آمل بصورة أساسية أننا نستطيع أن نتجاوز مسألة التزوير إلى مسائل

مكتبة الفكر الجديد

حول أهمية هذه القصاصة بالنسبة إلى تأريخ المسيحية. وذلك بالتفكير في شأن أسئلة مثل «لماذا تكون مهمة مسألة زواج أو عدم زواج المسيح؟ ولماذا يكون للناس رد فعل فظيع لهذه المسألة؟».

أنا لم أكن أريد أن أكتب شيئاً مثيراً في أواخر أيامي. وأصلاً، لم أكن أريد أن أكتب عن المسيح، لأن ما أكتبه وما يكتبه غيري لن يغير من الأمور شيئاً. لكنني في سياق قراءاتي الأخيرة وقفت على أخبار عن امرأة كان لها شأن مهم في حياة المسيح، هي مريم المجدلية. فأحببت أن أتابع موضوعها. فلجأت إلى مكتبتي، المتواضعة جداً، وإلى كتاب، أول الأمر، عن مريم المجدلية من تأليف سوزان هاسكنز. لم أكن بصدد أن أكتب بحثاً عن الموضوع، بل كانت رغبة في الاطلاع ليس إلا. ثم وجدت في مكتبتي كتاباً بعنوان (من وحي فرسان الهيكل)، هذه الترجمة العربية له عن الإنكليزية. وهو لم يبدُ لي كتاباً له علاقة بالموضوع. لكنني لعلي احتفظت به لأمر ما. ولدى إعادة قراءته، وجدته كنزاً. لقد اجتذبتني عناوين فصوله، التي من بينها: خيوط الهرطقة؛ الشفرة السرية لليوناردو دافنشي؛ نحو العالم الأسفل؛ في خطى المجدلية؛ موطن الهرطقة... الجنس: الجنس المقدس؛ هذا مكان رهيب؛ لا حقائق إنجيلية؛ المرأة التي قبّلها المسيح؛ أتباع ملك النور [المقصود بهم الصابئة المندائيون]؛ الهرطقة الكبرى؛ خارج مصر.

قرأت هذا الكتاب أكثر من مرة. ثم رأيت أن أكتب عن الموضوع. فبحثت عن مصادر أخرى، فبدأ هذا الموضوع يثير

فضولي واهتمامي كثيراً، لاسيما بعد اطلاعي على أخبار يوحنا المعمدان. فهو ابن خالة المسيح، وقد ألقى مقتله ضوءاً على القصة برمّتها. وتراءى لنا أنه أهم شخصية في قصة حياة المسيح. وهو مذكور في القرآن باسم يحيى. وكان شخصية سياسية خطيرة الشأن بالرغم من أنه لم يكن داعية كالمسيح. لكن قصة مقتله تقدم لنا معلومات مهمة عن الوضع السياسي في فلسطين في أيام المسيح. وقد بحثت موضوع المعمدان بما فيه الكفاية في كتابي هذا. لكنني أعود إلى قصة زواج المسيح.

لاحظنا أن خبر الزواج ورد على نحو واضح لا لبس فيه على لسان المسيح في القصاصة التي أصبحت في حوزة البروفيسورة كارن كينغ. وقرأنا في الإنترنت ما يؤكد صحتها ومصداقيتها، وكذلك الطعون التي تعرضت لها. وها نحن نقدم عرضاً لهذه وتلك.

ورد في التقارير الصحفية أن فريقاً كيمياوياً برئاسة الأستاذ جوزيف أزاريللي من جامعة MIT توصل إلى أن عمر البردية يماثل عمر إنجيل بردية يوحنا من القديم. لقد استند الفريق إلى الفحص المايكروسپكتروسكوپي للبردية الذي وجد النص قد تعرّض للقليل جداً من التأكسد، بسبب التعرض للهواء، أقل بقليل جداً من إنجيل يوحنا الموثوق بصحته.

ومن الجدير بالملاحظة أن العلماء لم يجدوا دليلاً على أن الحبر استعمل حديثاً.

والملاحظ أن قفا القصاصة تعرّض لتلفٍ شديد، إلى حد أن كلمات محدودة أمكن قراءتها، مثل «أمي»، و«ثلاث».

لكن البروفيسورة كارن كينغ توصلت إلى قراءة ثمانية أسطر غير متكاملة من الوجه الأمامي للقصاصة:

- ليس إليّ. أمي منحتني الحياة. . .
- الحواريون قالوا للمسيح
- انكر. ان مريم جديرة بـ
- المسيح قال لهم، زوجتي
- ستكون قادرة لأن تكون حواريتي
- ليبتلع الأشرار
- أما بقدر تعلق الأمر بي، فإني أسكن معها لكي
- صورة

زعم بعض الخبراء أنه إذا كانت البردية صحيحة، ففي الوسع اعتبارها دليلاً على أن المسيح كان متزوجاً وليس أعزب، مما يمكن أن ينسف أحد تعاليم الكنيسة الرئيسية.

صحيفة ڤاتيكانية غاضبة رفضت هذا الخبر كشيء مزور في مقال رئيسي بقلم محررها، جيوڤاني ماريا ڤيان، الذي كتب كلمة لاذعة تحت عنوان «في كل الأحوال، مزورة»، طاعناً بمصداقية الوثيقة.

الدراسة الجديدة، الصادرة عن مجلة هارفارد للشؤون الدينية، ذكرت نتائج الفحوص الكاربونية التي أجريت على الوثيقة، التي اكتشف أنها ترقى إلى مصر في القرن الثامن. حوالي ٤٠٠ سنة بعد ما تصورته البروفيسورة كينغ. هذا ما جاء في The Boston Globe.

مكتبة الفكر الجديد

قال Leo Depuydt، الخبير بالدراسات المصرية في جامعة براون، إن أياً من الفحوص الجديدة لم يقنعه بأن البردية مزورة.

لقد طلب مالك الوثيقة أن يبقى اسمه مجهولاً لكنه قال إنه حصل على القصاصة، مع خمس برديات أخرى في ١٩٩٩ من جامع نصوص حصل عليها في الستينات في ألمانيا الشرقية.

البروفيسور فرانسيز واتسون من جامعة Durham قال إن القصاصة هي عبارة عن ملصقات collage من نصوص من إنجيل توما، استنسخت وجمعت بصورة غير منتظمة في لغة قبطية رديئة.

أكد العلماء أنهم في حين أنهم صادقوا على عمرها، إلا أن فحصهم للبردية لا يبرهن على أن المسيح كان متزوجاً.

قالت البروفيسورة كينغ في ٢٠١٢ إن لُقيتها «لا تقدم دليلاً على أن المسيح التأريخي كان متزوجاً»، لكنها قالت أيضاً إنها جعلت الناس يتساءلون عن حالة المسيح الزوجية.

لقد تم التعرف أخيراً على هوية صاحب الوثيقة الغامض. هل زوّر البردية المحيرة التي تقول «المسيح قال لهم زوجتي...»؟.

كتب أوين جاروس في (Live Science) في ٢٠١٥ يقول إن مواطناً من فلوريدا يدعى Waltter Fritz قد يكون هو صاحب الخبر. وقد نشر Ariel Sabar حديثاً مقالاً في مجلة The Atlantic يؤكد فيه أن فريتز هو الرجل الذي يملك بردية زوجة المسيح. في البدء أنكر فريتز أية علاقة له بالورقة المثيرة للجدل. ثم اعترف أخيراً بعد أن ووجه بأوراق Sabar. وادعى

مكتبة الفكر الجديد

فريتز أيضاً أنه لم يزور البردية وأن «المالك السابق لم يشر إلى أن القصاصة تم التصرف بها.»

يبدو أن هذا الخبر تعرّض للتشويه، والإساءة إلى السيد فريتز. فالسيد سابر ادعى بأنه كشف معلومات مثيرة عن خلفية فريتز، بما في ذلك أنه كان قد تقدم لدراسة الماستر في علم المصرويات في جامعة برلين الحرة، ولديه إلمام بالقبطية، وكان بارعاً في الرسم، وكان قد فتح قنوات في الكومبيوتر لبيع أخبار قديمة مشكوك فيها. وكان يعاني من صعوبات مالية قبل الاتصال بكارن كينغ حول القصاصة. هذا إلى أن المعلومات التي قدمها عن إنجيل زوجة المسيح انطوت على تزوير.

أنا بدأت أتحسس وجود تحامل على صاحب القصاصة. فقد جاء في أوراق الإنترنت التي نقلت الخبر، أن سابر اكتشف سلسلة من القنوات الجنسية في الكومبيوتر الذي يستعمله فريتز وزوجته. استناداً إلى سابر، إن الأفكار التي ظهرت في مباحثه عن حياة فريتز تعكس تلك الموجودات في (شفرة داڤينشي) لدان براون، التي سعى فيها الآباء الكنسيون القدامى إلى تشويه سمعة مريم المجدلية، والإساءة إلى دور النساء، والتعرّض إلى الجنس.

لقد تحدث سابر عن رجل عاش حياة غير طبيعية وفاضحة. لكن يبدو أن ما تفتقر إليه هذه الدراسة هو البرهان الحاسم على أن فريتز نفسه زور بردية إنجيل زوجة المسيح.

وأخيراً نقرأ في الإنترنت بالحروف الكبيرة:

إن البردية القديمة التي تذهب إلى أن المسيح كان متزوجاً

مكتبة الفكر الجديد

هي وثيقة قديمة وليست تزويراً حديثاً، استناداً إلى فحوص قضائية forensic tests.

ونقرأ أيضاً: إن قصاصة البردي التي تدّعي أن المسيح كانت له زوجة، والتي اعتبرها الفاتيكان عملاً حديثاً مزوراً، قد تم التأكد من أنها وثيقة قديمة أصيلة.

ونقرأ: إن علماء من جامعات مشهورة في الولايات المتحدة قالوا إنها كتبت بين القرنين الرابع والثامن.

إن قصاصة البردي كتبت بلغة قبطية قديمة، وتقول: «المسيح قال لهم، زوجتي» و «ستكون قادرة على أن تصبح حواريتي».

مكتبة الفكر الجديد

المحتويات

المحاولة الأولى ٥
المحاولة الثانية ١٣
المحاولة الثالثة ١٧
المحاولة الرابعة ٢٥
المحاولة الخامسة ٣١
المحاولة السادسة ٤١
نصوص كانت مطمورة ٤٣
استدراكات ٦٦
المجدلية ٧٣
وقائع تأريخية ٧٥
المسيح ٧٧
اعتقال المسيح ٩٤
يوحنا المعمدان ٩٧

مكتبة الفكر الجديد

القراءة الأخيرة ١١١
فرضية الزواج ١٢١
زوجة المسيح؟ ١٢٤
الحقيقة المطموسة عن زواج المسيح ١٣٥

هذا الكتاب

سيبدو لنا أن الكتابة عن المسيح مهمة صعبة إذا علمنا أن من بين ما يزيد على ٥٠٠ من الأقوال المنسوبة إلى المسيح، هناك في أقصى الاحتمال عشرة في المئة تعتبر من قبل الباحثين ذات مصداقية.

إن دارسي كتاب العهد الجديد يواجهون اليوم أزمة، لأنهم غير قادرين على الاتفاق بشأن أسئلة أساسية، مثل: هل ادعى المسيح نفسه أن يكون المسيح؟ وهل زعم أنه ابن اللّٰه؟ وهل زعم أنه سيكون ملكاً على اليهود؟ وهم غير قادرين كلياً على إيضاح العديد من الأشياء التي قام بها. وهم غير قادرين حتى على تقديم إيضاح مقنع لصلبه. لأنه لا وجود لما يمكن أن يكون المسيح قد صرح به أو فعله -كما جاء في الأناجيل- من شأنه أن يستفز إما القادة الدينين اليهود أو السادة الرومان إلى الدرجة التي اقتضت قتله.

مكتبة
الفكر الجديد
28-03-2020

الغلاف: سكينة صفوان
ISBN 978-9922605258
9 789922 605258